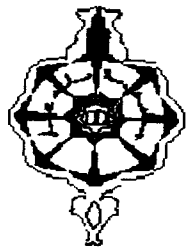

الجمهورية الجـــزائرية الديـــمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

2013
Facult 2650

جامعة تلمسان

كلية الاداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص: دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة ب:

صورة المرأة في روايتي عصفور من الشرق و قنديل أم هاشم

إعداد الطالب (ة):

صغير سميرة

تحت إشراف:

د-عبد العالي بشير

السنة الجامعية: 1432 -1433 الموافق ل 2012/2011

دعاء

يـــــــا رب...لا تدعني أصاب بالغرور

إذا نجحت و أصاب باليأس إذا فشلت.

يـــــــا رب... إذا أسأت إلى الناس

اعطني شجاعة الاعتذار و إذا أساء لي

الناس اعطني شجاعة العفو.

شكر و تقدير

- أتقدم بجزيل الشكر و وافر الامتنان إلى الأستاذ الدكتور عبد العالي بشير, الذي كان عونا موجها, و مرشدا فقدم معرفته و بذل جهده و أمدني بخبراته, و أطلعني على مصادر البحث و الدراسة و انفق من وقته الكثير في متابعة هذه الدراسة إلى أن كتب لها الله أن ترى النور كما أقدم شكري لكل من أمدني بمصدر أو مرجع و شكرا.
- اشكر جزيلا الأستاذ(ة) المناقش(ة) لقبوله(ها) طلبي هذا.

أسال الله أن يجازيكم عنى كل خير

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

«و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون»

صدق الله العظيم

الهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك...الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة إلى نبي الرحمة و نور العالمين... سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من احمل اسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يمد في عمرك و تبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد...والدي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و إلى معنى الحنان و التفاني و سر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الناس...أمي الحبيبـــــــة.

إلى توأم روحي و رفاق دربي,معكم أكون أنا و بدونكم أكون مثل أي شيء إلى من تطلعتم لنجاحي بنظرات الأمل...إخوتي عمر,هواري ,عبدالصمد و عبد السميع و أزواج أخواتي محمد وأمين ودحمان.

إلى من بهن اكبر وعليهن اعتمد إلى شموع متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من عرفت معهن معنى الحياة...أخواتي رفيقة,رشيدة وفاطمة.

إلى من أرى التفاؤل بأعينهم و السعادة في ضحكتهم إلى الوجوه المفعمة بالبراءة...حسام,ياسين,مهدي,نسرين,مريم,شهرة و محمد.

و إلى كل أصدقائي و صديقاتي من قريب أو بعيد

مقدمة

المقدمة

لا يخلو أي موضوع دراسي، من دوافع تثير رغبة البحث، وتدفع بالباحث إلى التنقيب عن خلفيات اختياره، وبناءا على هذا كان اختيارنا لموضوع المرأة في روايتي " عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم وقنديل أم هاشم ليحي حقي " ومن بين الأسباب التي دفعتنا لهذا الاختيار هو الصراع بين الشرق و الغرب ودور المرأة فيه مما أثار اهتمامنا بالدرجة الأولى وحفزنا على البحث في إشكالية الصراع بين الشرق والغرب ، والتي لا تزال قائمة إلى الآن ، وأردنا أن ندرس هذه الظاهرة من خلال هاتين الروايتين ، مبرزين صورة المرأة في هذين العملين الأدبيين.

فموضوع الغرب ظل حاضرا في الرواية العربية بشكل مباشر أو غير مباشر إذ أن الإنتاج النثري غزير في هذا المجال ومن أهم النماذج الروائية نذكر على سبيل المثال لا الحصر : (تلخيص الإبريز إلى تخلص باريز) لرفاعة الطهطاوي و (الحي اللاتيني) لسهيل إدريس و(موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح.

والنموذجان المختاران في هذا البحث هما جزء لا يتجزأ من هذا النوع من الأدب، والذي حاولنا فيه دراسة واقع المرأة وتبيان صورتها الحقيقية التي تمثلها، ومن ثم معرفة هدف الكاتب من وراء إدماجها كعنصر فاعل في روايتهما وما ترمز إليه.

وقد تمثلت إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن السؤالين التاليين:

إلى أي مدى وفق الكاتبان في الكشف عن نظرة كلا الطرفين (الشرق والغرب) من المرأة ودورها؟ وهل نجح كلاهما في منهجيهما الذين سلكاهما؟

وللإجابة على هذا هذين السؤالين اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يعتمد على استنطاق النصوص بالدرجة الأولي.

وعلى هذا الأساس جاء البحث مقسما إلى مقدمة وفصلين.قسمت الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث والفصل الثاني إلى أربعة مباحث. وقد عنونت الفصل الأول بـــ "

صورة المرأة في رواية عصفور من الشرق"تعرضت في المبحث الأول منه إلى التعريف بالكاتب توفيق الحكيم ، ولخصت في المبحث الثاني الرواية، وقدمت في المبحث الثالث صورة المرأة في رواية عصفور من الشرق .

أما بالنسبة إلى الفصل الثاني والموسوم " صورة المرأة في رواية قنديل أم هاشم "فقد تضمن هو الآخرأربعة مباحث. تعرضت في المبحث الأول منه إلى حياة الكاتب يحي حقي، أما المبحث الثاني فكان عبارة عن تلخيص عام للرواية وبعد ذلك أشرت إلى صورة المرأة في رواية قنديل أم هاشم.و كان المبحث الرابع والأخير عبارة عن مقارنة بين صورة المرأة في الروايتين.وأنهيت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

ومن الصعوبات التي اعترضت سبيلي في إعداد هذه المذكرة قلة الكتب التي تحدثت عن حياة كل من توفيق الحكيم ويحي حقي، وكدا صعوبة الحصول على الروايتين.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا، والله ولي التوفيق.

تلمسان في 2012/05/20.

الاسم واللقب: صغير سميرة

مدخل

مدخل

- صورة المرأة -

إن عالم المرأة لم يكن منغلقا وآفاقها لم تكن ضيقة, وخبراتها لم تكن محدودة ولا محصورة في مجالات البيت فقط . بل كان عالمها رحبا رحابة الحياة. اذ كافحت من أجل إثبات مشروعيتها واستكمال حقها الإنساني .

و موضوع المرأة بصفة عامة يعتبر من المواضيع التي لم تحظ بالدراسات الكافية وقد انحصرت الكتابات والدراسات الموجودة على بعض جوانب الحياة كالمرأة والأسرة[1].

و يختلف مركز المرأة عبر الحقب التاريخية باختلاف الأمم والأقاليم ذوات الطبائع المختلفة من معتدلة، حارة، باردة [2] وما تعاقب عليها من الزمن قديمة وحديثة وما تقلب عليها من عوامل متنوعة من دينية، اجتماعية، عادات وتقاليد وأخلاق. وقد مرت عليها اطوار من عوامل الانحطاط والرقي والتقدم في الحضارة والعمران ، مما جعل المرأة يرتفع شأنها وتسود في بلاد وتنحط في بقلع اخرى من العالم وعلى هذا الأساس نتساءل حول:

دور المرأة في الأمم الشرقية والامم الغربية

هناك عوامل و ظواهر تجعل المرء يعتقد بأن سلطة الرجل في الأمم البدائية تختلف باختلاف شعوبها فقد لا تكون منزلة المرأة أدنى من منزلة الرجل دائما بل قد تكون مكانتها في بعض تلك الأمم مساوية لمكانة الرجل و قد تعلو و ترتفع عند الرجل في القدر والاعتبار. فالمرأة عند هنود أمريكا الجنوبية مثلا تتمتع بمركز سام و وضع اجتماعي محترم في الأسرة و مجتمع القبيلة.[3]
كما حضيت المرأة في القبائل المغولية بمكانة مرموقة ويظهر ذلك من خلال الأعمال التي كانت تمارسها بحيث اشتغلت بالتجارة وشاركت في المعارك و الحروب، إذ كانت ترافق القادة أحيانا في الحروب و كثيرا ما يطلبون مشورتهن.

---

[1] عمل المرأة داخل ميدان الأمن – مجلة الأدب و العلوم الإنسانية– أستاذة : سعداوي زهرة –العدد السادس– ص225 سنة 2003.

[2] كحالة عمر رضا – المرأة في القديم و الحديث – مؤسسة الرسالة–ط2–سنة 1981 –ج1–ص102

[3] مفهوم المرأة بين ساحة الشهور و الأشهر –نفس المرجع– أستاذة: مروفل كلثوم –ص319.

كما تولت أحيانا قيادة المعسكر و المحاربين ضف إلى ذلك أنها كانت تفصل بين النزاعات القائمة داخل القبيلة، وعلى العموم لقد مارست المرأة شؤون تتعلق بالقضايا العامة والرئيسة في القبيلة حيث شاهدت تساوي في الحقوق إلى درجة أن الرجال خضعوا لنسائهم كما شغلت مركز القيادة في القبيلة آنذاك وهذا كله يبين لنا أن المرأة البدائية حافظت على مكانتها داخل المجتمع و انحصر مفهومها في المرأة و [1].

كما اعتبرت مصدر المتعة عند الرجل البدائي، وهذا ما كان سائدا عند بعض الشعوب الإفريقية إذ اعتبروها كعبدة.

ونستنتج مما سبق أن مفهوم المرأة تجلى في المرأة الريع، المرأة الحيوان، المرأة المشعة.[2]

و هكذا نلاحظ مكانة المرأة في الشعوب البدائية تأرجح بين (سمو العظمة) والانحطاط و تأسس ذلك على العادات والتقاليد والاساطير السائدة آنذاك .

[1] نفس المرجع ص 319

[2] نفس المرجع ص 320

مدخل

أما إذا انتقلنا إلى الخطاب القرآني فإننا نلاحظ أنه قد أحدث قطيعة مع خطاب التهميش والتمييز الذي ساد الفكر الجاهلي حول المرأة باعتباره قد أسس نموذج إنساني تجد فيه المرأة مكانتها التي سلبت عبر العصور الخالية، فالقطيعة مع مفهوم المرأة الإنسان نلاحظها أساسا من خلال تحريم وأد البنات هذه العادة التي رأينا مثال لها عند بعض القبائل في الجاهلية ومن أشعارهم.[1]

من غاية المجد و المكرمات

بقاء البنين وموت البنات

و كانت مذاهب العرب مختلفة في الوأد، ففي الجاهلية كانوا يتهجمون لمولد الأنثى وتسود وجوههم لمقدمها و نستشف ذلك من تلمس معنى الآية الكريمة:

" وإذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون"

- سورة النحل الآيتين 58-59

فبظهور الإسلام وبمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم صان حياتها و أحسن استقبالها ورفع منزلتها وهي طفلة ثم وهي زوجة ثم وهي أم وجعل طفولتها سترا من النار وطريق إلى الجنة و أوجب إكرامها وهي زوجة واستوصى بها خيرا وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ووصلها بالحياة الإسلامية العامة ومكنها من الجهاد إذا أطاقته.[2]

قدم عصر النهضة المعطيات الأولى لتحرير المرأة، وكان يوجه الفكر باتجاه علمي يفتح الباب لإيجاد إمكانية للتغيير في النظرة إلى المرأة و وضعها المتأرجح فمنذ بدايات العصر أخذت بعض الافكار النخبة تتجه لمعالجة أوضاع المرأة.

ونستشهد هنا بقول الكاتب الإيطالي أنطونيو ايبانو:1498

(لا يجوز لجم النساء وإبعادهن عن ملذات الشريفة... إلى حد حملهن على الاندهاش بكل ما يشاهدن أسوة بسجناء طالت فترة حبسهم...)[3]

ومع بداية القرن الخامس عشر و بمبادرة من الرجال لإضطناب قسوة التقاليد ضد المرأة فكانت هي محور حياة البلاط ولا سيما في إيطاليا ثم انتقلت العدوى إلى فرنسا بحيث اكتسبت بعض السيدات مكانة مرموقة أين بدأت المدارس القروية .

---

[1] نفس المرجع السابق: المرأة في الفكر الإسلامي- أستاذة مروفل كلثوم ص 324

[2] القرآن الكريم: سورة النحل

[3] نفس المرجع السابق.

مدخل

وإلى جانب الأدب المتشدد على عظمة الرابط الزوجي وأهميته، و تمجيد البيت النظيف الشريف و التأكيد على توزيع العمل حيث يقتصر عمل المرأة على البيت و الأولاد وضمن حدود مغزلها وطناجرها.

كان ازدياد الثورة وتنامي اقتصاد المجتمع يبرز صورة المرأة غير العابئة بهذه الآراء و نفس الفكرة يشير إليها المصطلح الديني حيث دعا إلى تربية المرأة تربية منزلية و بهذا نحافظ على أخلاقها الفطرية، أما ما يخص تعميمها فقد يقتصر على العلوم البسيطة و إدارة المنزل، و كان ذلك خلال القرن السادس عشر، و مع ذلك نلاحظ أن وضع المرأة لم يكن مرتديا في بعض البلدان الأوروبية خاصة بحيث بقية أمية النساء في إنكلترا و إسبانيا سائدا إذ وضعت القضبان الحديدية على النوافذ لإحكام إغلاقها على النساء، كما أغلقت عليهن أبواب العديد من المهن إلا أن النساء لم تقف مكتوفات الأيدي إزاء حقوقهن ومطالبهن فقد دل هذا العصر على أن بعضهن نلن مكانة عليا رغم قلة عددهن، و بصورة خاصة نساء الطبقات العليا اللواتي فتح لهن الثراء و تنور العقول و تطور المجتمع سبيلا يرفع جنسهن من رق العصور الوسطى و من حياة الدير المحتقرة، حيث أصبحت متساويات مع الرجال تتحدث معهم حديث الند للند في الأدب و الفلسفة ومارس بعضهم الحكم بنجاح.[1]

وقد شهد القرن السابع عشر سلسة من الحوادث الكبرى حيث مكنت المرأة من تبوأ مكانة رفيعة حيث استفادت من ارتقاء الآداب الأوروبية كما دخلت معترك السياسة...إلخ.

ويمكن القول أن نساء عصر النهضة المتعلمات حررت انفسهن دون أن يقمن بأية دعوة لهذا التحرر.

نستنتج مما سبق أن مفهوم المرأة في عصر النهضة تحدد كما يلي:

- المرأة القاصرة و المرأة ربة البيت.

ولكن : هل صورة المرأة في الوطن العربي تشبه نظيرتها في الغرب ؟

[1] نفس المرجع السابق – ص326-

مدخل

ظهر مع مطلع القرن الثامن عشر في اوروبا سمات تسوية تدعوا إلى تحرير المرأة، وقد حصلت بعض المطالب السياسية، ولكن هذا لم يكن سوى جزء من تطلعهن إلى التغيير الذي أخذ يظهر في بعض الكتابات و تعالت صيحة البطلات العفيفات تطالب بعفة الرجل معتبرات آنذاك بدء المساواة في الحقوق بينن الرجل و المرأة.

و مع بداية العصر الحديث التي أخذت فيه الرأسمالية تضرب جذورها يتعمق و تتناسى معها البرجوازية بأفكارها الرومانية أنتجت جيلا كاملا من فتيات شاحبات مشات حاجبات شعرهن تحت غطاء الرأس على نحو يعزز أسطورة المرأة الضعيفة العزلاء[1] أسطورة همها أن تحقق واجبها اتجاه الرجل وأن تبقى موضع ترصد رغبته وليس لها وجود إلا به يحميها كما يحمي أملاكه وهناك من عارض هذه النسائية التي قامت على تحرير المرأة وعلى رأسهم الفيلسوف: **"برودون"** في قوله: **"و أيضا فإني فضلا عن كوني لا أستحسن ما يسمونه اليوم بتحرير المرأة، أميل من باب أولى إذا دعا الحال أن أشير بحبسها "**، وهكذا يربط **برودون** مفهوم المرأة بالبيت والرأي نفسه نجده عند **جول سيمون** في قوله : **"المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل بسيط ولا تؤدي عمل امرأة.**

على ضوء ما سبق، نستخلص أن مكانة المرأة ومفهومها عبر مختلف الحقب التاريخية تتحد في كونها كانت دون الرجل إذ لا يمكنها أن تتجاوز موقعه بالرغم من حصولها على بعض الامتيازات في بعض الحضارات، لكن ظل مفهومها يتأرجح بين الحيوانية و الإنسانية دون أن يخرج عن تلك النظرة الدونية السائدة.

[1] نفس المرجع ص 327

مدخل

نلاحظ أن مفهوم المرأة ق تطور عبر الحقب التاريخية حيث قامت بأدوار تاريخية أيضا عديدة كانت تصنف دون الرجل و أنها ليست أكثر من سلعة تباع و تشترى أحيانا وحيوان مهيأ للمتعة و أحيانا أيضا مجرد وعاء يحمل الأطفال ينجب و يرضع.[1]

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن وضعية المرأة بعد مجيء الإسلام فإننا نلاحظ أن الإسلام قد أنصفها و حررها من براثية جاهلية العرب في القديم و جاهلية العرب في العصر الحديث ومبادئهم بعد أن علقوا القرآن على الجدران للزينة و هجروا تطبيقه.[2] قد

الشريعة الإسلامية بالحقوق المثبتة التي تمنح المرأة حريتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و تسويها بالرجال بل و تفضلها في كثير من المواطن على الرجال و أحببت ان أثبت هذه الحقوق بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية كي لا أنرك حجة بتطرق الشريعة اتجاه المرأة وهذا أحسن دليل .

---

[1] نفس المرجع السابق ص 328

[2] موسوعة المرأة المعاصرة – د. محمد فراس الشعوري ص 145 – دار المكتبي.

مدخل

وفي أحد الروايات يحكى أن رجلا قد ولد له غلام فأتى إلى أحد علماء دمشق فقال له: قد ولد لي غلام اليوم و أرجو منك مند الآن ان تصنع لي منهجا تربويا يؤمن للغلام نشأة إسلامية و أخلاقية صالحة[1].

فأجابه ذلك العالم الدمشقي قائلا: لقد تأخرت كثيرا فقال الرجل: وكيف تأخرت و أقول فأجابه العالم لك ان الغلام قد ولد اليوم؟ !!

كان يجب عليك أن تأتيني قبل أن تختار أمه فربما كان رجل صلح أساء الاختيار فتزوج امرأة بعيدة عن الصلاح .

فالأم مدرسة اذ أعددتها

أعددت شعبا طيب الأرزاق.

[1] موسوعة المرأة المعاصرة ص 558

مدخل

وإذا أعدنا النظر في آراء توفيق الحكيم حول موضوع المرأة فيمكن القول أنه قد استقى أفكاره بصفة عامة من منابع مختلفة نحصرها فيما يلي:[1]

الخلفية الاجتماعية، الميول النفسية الذاتية، العلاقات والتجارب على المرأة هذا ما سوف نبرز فيه صورة المرأة في دوره محسن من خلال عملية "عصفور من الشرق" إضافة إلى الخلفية الثقافية.

فبالنسبة إلى الحكيم أهم المسائل التي استوحاها او استلهمها فإنها عديدة و متنوعة أهمها تجاربه العاطفية مع المرأة إذ يلاحظ أن أغلب آثاره الناضجة لها صلة وثيقة بحياته العاطفية وأحاسيسه الذاتية الخاصة فروايته "عصفور من الشرق" صيغة فنية لعلاقته بالفتاة الفرنسية "إيما دوران". و هذا ما سوف نطيل الحديث فيه في الفصول المقبلة وأيضا روايته عودة الروح تعد إلى حد ما تحريرا فنيا لقصة حبه للفتاة المصرية "سيلة" ومسرحيته "جماليون" ماهي إلا تصوير بعلاقته بالمرأة[2] بوصفه فنان، و كذلك الأمر بالنسبة إلى مسرحياته "يا طالع الشجرة" و "شهرزاد" و "الحس الهادئ".

يعلمنا أن توفيق الحكيم أديبا و فنانا ومثقفا فبحكمه فنانا وقد عاشر الفن واستطاع معاشرته ، فهل يستطيع أيضا أن يعاشر المرأة و أن يتجوزها؟[3]

و ماذا سيعطيها إذا كان قد منح الفن كل شيء؟.

---

[1] المرأة في أدب توفيق الحكيم – د. رشيد بوشعير الطبعة الاولى 1996 –دمشق. للطبعة والنشر ص 76

[2] نفس المصدر ص 76

[3]

مدخل

يجيبنا توفيق الحكيم نفسه بأنه يمكن للفنان أن يعيش مع المرأة و أن يتجوزها ولكن هذه المرأة ليست ككل النساء إنها المرأة التي تدرك أن حياتها مع الفنان ينبغي ألا تكون مشابهة لحياة الأخريات من النساء إنها المرأة التي تبذل حياتها من أجل هذا المخلوق الذي يبذل هو الآخر حياته للفن دون أن يأسف. إنما تلك المرأة تعنى بهذا المخلوق العجيب فتزيل همومه ولا تنتظر من ان يزيل همومها و متاعبها إنها تلك المرأة الصبور التي تضحي بحياتها برضي وصبر وسرور[1]. إنها المرأة التي تضع في قلبها هذه الكلمة " إنما يعيش الفنان من أجل الفن، وتعيش هي من أجل الفنان"[2] وهناك عدة نماذج عن هذه المرأة المثالية في نظر الأديب الحكيم الفنان.

و الآن و بعد أن وقفنا على ذلك الملخص الذي قدمناه عن الدور الذي لعبته المرأة الملهمة في أدب الحكيم

فنحن بدورنا نتساءل عن صورة المرأة و ثقافتها في الشرق والغرب.

و بعد فهل يعني كل هذا أن توفيق الحكيم يفضل أن تبقى المرأة جاهلة أمية؟ كلا فإننا نجد الحكيم على العكس من ذلك يدعو تعليم المرأة وتثقيفها و يعجب بكثير من النساء الشهيرات اللواتي كان لهن فضل على الأدب و الفكر و الجدل سواء في الشرق أم في الغرب.[3]

---

[1] نفس المصدر السابق ص 77
[2] توفيق الحكيم، بحث شمس الفكر ص 225
[3] المرأة في أدب توفيق الأديب: رشيد-(10)- بوشعير الطبعة الأولى 1996 ص 60 مكتبة الأسد

ومن هذا المنطق نرى المرأة قد حاربت و جاهدت من أجل ثقافتها فهل المرأة الشرقية هي نفسها المرأة الغربية؟.

وهل صورة المرأة في الوطن العربي هي المرأة الغرب؟

إذن سوف نرى صورة المرأة في الشرق والغرب من خلال دراسة أدبية لروايتين:

عصفور من الشرق و درور محسن في الرواية و كيف وجد المرأة الشرقية على نظيرتها المرأة الغربية.

وأخيرا وليس اخرا من خلال الروايتين سنرى صورة المرأة في الشرق والغرب و بالتالي سوف تكون موازنة بين الروايتين للأديبين توفيق الحكيم و يحي حقي.

الفصل الاول

صورة المرأة في رواية عصفور من الشرق

المبحث الأول:

- تعريف توفيق الحكيم.

المبحث الثاني:

- ملخص عام للرواية.

المبحث الثالث:

- صورة السيدة زينب.
- صورة العجوز أم اندريه.
- صورة جرمين.
- صورة سوزي ديبون.

توفيق الحكيم

المبحث الأول:

★ تعريفه:

1-المولد:

ولد توفيق الحكيم في الإسكندرية سنة 1898 لأب مصري[1]من اصل ريفي يعمل في سلك القضاء و كان يعد من أثرياء الفلاحين و أم تركية[2] كانت ابنة لأحد ضباط الأتراك.

يعد الحكيم مسرحي و كاتب و قاص و روائي تلقى علومه بمصر و تخرج من كلية الحقوق ثم سافر إلى فرنسا لتحضير الدكتوراه في القانون و يعتبر من الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث يعاصر الحربين الأولى و الثانية 1914-1939 و عاصر عمالقة الأدب في تلك الفترة مثل: طه حسين و احمد أمين و سلامة موسى و عمالقة الشعر:احمد شوقي و حافظ إبراهيم و غيرهم.

2-النشأة و التعليم:

عند بلوغه السابعة من عمره التحق بمدرسة دمنهور الابتدائية حتى انتهى من تعليمه الابتدائي سنة 1915 ثم ألحقه أبوه بمدرسة حكومية في محافظة البحيرة حيث أنهى الدراسة الثانوية[3] و بعد ذلك انتقل إلى القاهرة مع أعمامه لمواصلة الدراسة الثانوية في مدرسة محمد علي الثانوية بسبب عدم وجود مدرسة ثانوية بمنطقته.

و في عام 1919 مع الثورة المصرية شارك مع أعمامه في المظاهرات و قبض عليهم و اعتقلوا بسجن القلعة إلا أن والده استطاع نقله إلى المستشفى العسكري إلى إن أفرج عنه,حيث عاد عام 1920 إلى الدراسة.

---

[1]معجم الروائيين العرب –د سمير روحي الفيصل- الطبعة الأولى 1415-1990 ص87.
[2]موقع إيلاف-ثقافات المسرح الذهني عن توفيق الحكيم.
[3]مذكرات محمد لطفي جمعة-الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصريين ص96.

و حصل على شهادة البكالوريا عام 1921 ثم انضم إلى كلية الحقوق حسب رغبة والده ليتخرج منها عام 1925,التحق الحكيم بعد ذلك بمكتب احد المحامين المشهورين فعمل محاميا متدربا لفترة زمنية قصيرة و نتيجة لاتصالات عائلته بأشخاص ذوي نقود تمكن والده من الحصول على دعم احد المسؤولين لإرساله في بعثة إلى باريس لنيل شهادة الدكتوراه (1925-1928) في الحقوق و العودة إلى التدريس في إحدى الجامعات المصرية الناشئة و هناك كان يزور متاحف اللوفر و قاعات السينما و المسرح و اكتسب من ذلك ثقافة أدبية و فنية واسعة إذ اطلع على الأدب العالمي و في مقدمته اليوناني و الفرنسي.انصرف على دراسة القانون و اتجه إلى الأدب المسرحي و القصصي[1].

★ عمله:

و في عام 1929 عين وكيلا للنيابة فمديرا للتحقيقات في وزارة المعارف فمديرا للإرشاد الاجتماعي في وزارة الشؤون الاجتماعية,عمل في الصحافة من 1943 إلى 1951,انتخب عضوا في مجتمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1954[2] و عين عام 1951 أيام الملك دائما لمصر في اليونسكو,نال جائزة الدولة في الأدب عام 1951 أيام الملك فاروق عن كتابه المسرح و المجتمع و قلده حمال عبد الناصر قلادة الجمهورية عام 1958 كما حصل على جائزة الدولة التقديرية عام 1906 و جائزة الكوكب الذهبي عام 1979 و جائزة درع الثقافة عام 1983.[3]

توفيق الحكيم ليس بحاجة إلى تعريف, وأثره في الأدب المسرحي الحديث غني عن الذكر,و شخصيته و حياته و جهاده الفني و دوره في ربط الأدب المسرحي الغربي حديث معاد[4].

كلنا تعلم القراءة على يد مسرحياته و كلنا حاول أن يقلده في قصصه و كلنا قام بدور "محسن"في عصفور من الشرق على مستوى الحي أو القرية أو الكلية و كلنا تصور نفسه توفيق الحكيم في فرنسا و راح يعيش في برج من الأفكار الخاصة و سيظل أدب توفيق الحكيم قابل للنقاش قادرا على العطاء مؤيدا للاختلاف, باقيا و عظيما.

---

[1] مذكرات محمد لطفي جمعة-الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصرين ص96-جزء رابع.
[2] مقال لأنيس منصور-جريدة الشرق الأوسط-10 مايو2005 العدد 9660.
[3] معجم الروائيين العرب-د-سمير روحي الفيصل الطبعة الأولى ص08.
[4] قراءة في أدب توفيق الحكيم...رجاء عيد-منشاة المعارف بالإسكندرية جلال حري و شركاه سنة 2000 -الصفحة الأخيرة من الكتاب.

★ آثاره:

رسم توفيق الحكيم بعض ظلال شخصيته على مدار أيام حياته في العديد من مؤلفاته:عودة الروح, عصفور من الشرق, يوميات نائب من الأرياف,سجن العمر و زهرة العمر و سواها.

كما عبر عن نظراته إلى الحياة و الفن و السياسة في كتب كثيرة منها:التعادلية, بجماليون, سلطان الظلام, حماري قال لي,شجرة الحكم و أخيرا مقاله الأخير:عودة الوعي.

مزج توفيق الحكيم بين الرمزية و الواقعية على نحو فريد يتميز بالخيال و العمق و أصبح هذا الاتجاه هو الذي يكون مسرحيات الحكيم بذلك المزاج الخاص و الأسلوب المتميز الذي عرف به.

ففي كتابه "سجن العمر" أشار إلى طفولته و انتمائه: و ذلك بامتزاج الدم المصري الأبوي بالدم التركي (الأم). من حيث التكوين الوراثي و كونه ابنا لأسرة تنسلك في عداد الطبقة الوسطى العاملة في حقول الزراعة و التجارة و سلك الوظائف الحكومية من حيث التصنيف الاجتماعي فهو في مؤلفاته ابن مصر البار,ابن لشهب بفلاحيه و عماله و مفكريه و موظفيه...بل يمكن تمييزه بذلك العطف البالغ على الفئات المسحوقة في مجتمعه و بخاصة الفلاحين منهم.

أما بالنسبة للكتب التي نشرت باللغة الأجنبية فهي كثيرة منها:

- شهرزاد: مسرحية صدرت سنة 1934 ترجمت في باريس سنة 1996.
- عودة الروح: رواية صدرت سنة 1933 ترجمت و نشرت بالروسية سنة 1935 و بالفرنسية في باريس سنة 1937 و بالانجليزية في واشنطن سنة 1984.
- يوميات نائب في الأرياف:رواية صدرت سنة 1937 طبعة أولى و في عام 1942 طبعة ثانية و في عام 1974 و 1978 طبعة ثالثة و رابعة[1].

و خامسة بدار بولون بباريس و ترجم و نشر بالعبرية عام 1945.

- عصفور من الشرق: رواية 1938 ترجم و نشر بالفرنسية عام 1946 طبعة أولى و نشر طبعة ثانية في باريس عام 1960.
- عدالة و فن:قصص صدرت سنة 1953 ترجم بالفرنسية عام 1946 طبعة أولى و نشر طبعة ثانية في باريس عام 1960.
- بجماليون:مسرحية صدرت سنة 1942 ترجم و نشر بالفرنسية في باريس 1950.
- الملك اوديب:مسرحية صدرت سنة 1949 ترجم و نشر بالفرنسية عام 1950 و بالانجليزية في أمريكا 1981.
- سليمان الحكيم:مسرحية صدرت سنة 1943 ترجم و نشر بالفرنسية عام 1950.

---

[1] توفيق الحكيم ملامح رائد من موقع إسلام اون لاين.

إضافة إلى العديد من مؤلفاته منها:

- زهرة العمر:مسرحية صدرت سنة 1943 و الرباط المقدس مسرحية و صدرت سنة 1944 إضافة إلى شجرة الحكم و هي الأخرى مسرحية صدرت سنة 1945 و مجموعة قصص:ارني الله صدرت سنة 1954 و غيرها من الآثار[1].

و إذا أتممنا الحديث عن توفيق الحكيم و أعماله حيث صنف الحكيم إنتاجه المسرحي في مجالات أربعة الأول: المسرح الذهني و الثاني مسرح المجتمع و الثالث المسرح المنوع و الرابع المسرح المستحدث في اللا معقول[2].

و فاز توفيق الحكيم بالجوائز و الشهادات التقديرية التالية:

- ✓ قلادة الجمهورية عام 1957.
- ✓ جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1960 و وسام العلوم و الفنون من الدرجة الأولى[3].
- ✓ قلادة النيل عام 1975.
- ✓ الدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفنون عام 1975 كما أطلق اسمه على فرقة "مسرح الحكيم" في عام 1964 حتى عام 1972 و على مسرح محمد فريد اعتبارا من عام 1987.

و خلال حياة الحكيم في مصر ظهرت لنا كتاباته أدبية كانت أو مسرحية أو مقالات أو غيرها و ترك لنا الكثير من الآثار الأدبية المتنوعة في أساليب كتاباتها كما ترك لنا ذلك الرصيد الهائل من المسرحيات التي تنوعت بين ذهنية و اجتماعية و أخرى تميل إلى الطابع اللا معقول.

✶ وفاته:

في يوليو من عام 1987 غربت شمس من شموس الأدب العربي الحديث و رمز من رموز النهضة الفكرية العربية,شمس[4] سيبقى بريقها حاضرا في العقلية العربية جيلا وراء جيل من خلال ذلك الإرث الأدبي و المسرحي الذي أضافه للمكتبة العربية فقد رحل نائب الأرياف توفيق الحكيم عن عمر يزيد على الثمانين بعد حياة حافلة بالعطاء عمادها الفكر و فلسفتها العقل و قوامها الذهن.

---

(1) معجم الروائيين العرب -د- سمير روحي الفيصل الطبعة الأولى-طرابلس-لبنان-ص88-89.
(2) في الجهود المسرحية العربية (من مارون النقاش إلى توفيق الحكيم)-د- عبد الرحمن الرفاعي ص171
(3) فؤاد دوارة في النقد المسرحي ص39.
(4) محمد مبارك الصوري في الذكرى الأولى لوفاة توفيق الحكيم مجلة البيان العدد 270 سبتمبر 1988.

المبحث الثاني:

ملخص الروايـــة: ظهرت رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم سنة 1938م، و هي تعتبر كسرد لسيرته الذاتية، بطلها الطالب المصري "محسن " الذي يدرس بالسوربون وتعالج هذه الرواية، قضية الصراع بين الشرق والغرب ، تناول فيها الكاتب ثلاث محاور رئيسية هي:

1- علاقة محسن بصديقه اندري.

2- علاقة محسن بسوزي ديبون.

3- علاقة محسن بإيفان الروسي.

وهذه المحطات مترابطة، لكن بشكل غير ظاهر، فتوفيق الحكيم ألبس دور البطولة لعصفور قادم من الشرق لإكمال دراسته في أوروبا، فهو بطبعه الشرقي ميال إلى الخيال.

وتنفتح روايته على تأملات "محسن" في تمثال الشاعر "ألفريد دي موسيه " في باريس، و المطر ينهمر عليه، فمنذ الوهلة الاولى نلحظ تفرد محسن بنفسه، ويحاول صديقة أندريه سحبه من هذه الوحدة و الخيال الذي يعيش فيه، ويأخذه إلى المنزل الذي اختاره محسن كمكان لإقامته وسط عائلة **اندريه**، التي تمثل صورة مصغرة للمجتمع الفرنسي و ما يعيشه من مشاكل يومية في ظل الاشتراكية المنهارة أمام الرأسمالية، و أصبح محسن فردا منهم، وقد حاول الكل مساعدته و جعله فرنسي الثقافة و التفكير، خاصة اندريه الذي سلك كل السبل ليغير من تفكيره وطريقة تعامله لكنه فشل في كل هذا، بعدما وقع محسن في حب **سوزي ديبون**، بائعة التذاكر بمسرح الأوديون، فعمل أندريه و زوجته جرمين على توجيهه للوصول إلى قلبها، لكنه رفض كل عروضه، من تقديم باقة ورد لها، أو قارورة عطر هوبيجان، فهي في نظره امرأة ليست كالبقية بجمالها و رشاقتها، و اعتبر العطر و الزهور شيئا زهيدا في حقها، بل كان مستعدا أن يدفع حياته ثمنا من أجل حبها له، لكن الظاهر على محسن أنه كان يتعامل مع حلم سوزي و ليس مع سوزي ديبون نفسها، فهو مراهق عاشق، غارق في الخيال، وحبه حوله إلى عبد لها، لم يكن يريد أن يعرف أي شيء عن ماضيها، فقد كان يكفيه فقط النظر إليها وهي داخل شباك التذاكر بمسرح الأوديون، فقد جعلها ملكة ليس ككل الملكات، وأسكنها قصرا من قصور ألف ليلة وليلة وانتظر منها حبا بنفس المكانة من القيم بالرومنسية، و العواطف الجياشة، بعدما أهداها ببغاء كانت في نظره أجمل هدية بالنسبة له، كتعبير عن مدى حبه لها، فكان التواصل بينهما و كانت إيجابية في تعاملها معه، مما زادها ذلك مكانة أعلى في قلب محسن . وعاش على هذا المنوال أسبوعين

متتاليين تذوق فيهما طعم الحب بأشكاله وألوانه، ليستفيق بعدها من غفوته على حقيقة مرة في مطعم الأوديون معها (سوزي ديبون) يكتشف لعبتها، و أنها تحب رئيسها في العمل "هنري" و ذلك بعد رفضها الكلام معه، مما جعله كتمثال من الشمع أو كجريح يتخبط في دمائه، و هو الذي أسكنها أفخر القصور و أعلاها، اكتشف خيانة ملكته لحبه لها، فهي ممثلة رائعة في المكر والخداع، أذلته أمام نظرات "هنري" بتوسلاته لها، كي تبادله الحديث، فكان ردها الصمت وجفاء كبير و كأنه غير موجود، تتصفح مجلة مصورة تتلهى بها، وهو غارق في توسلاته، لكنه استسلم أخيرا لرغبتها، مهزوما، و قرر الخروج من الجنة لأنه اكتوى بنار الخيبة و الخداع من ملكته الجميلة، إلى مكان ينسيه فيها، لأنها كالبقية تريد مصلحتها قبل كل شيء، أنانية التفكير، تفاحة حلوة لكن داخلها دود كما شبهها، أبدلته بهنري لأنه يضمن لها البقاء كعاملة، أما هو ومن شدة آلامه وعمق جرحه الذي سببته له، عاتبها برسائل متتالية، وكان ينتظر منها بأمل كبير عودتها له، لكنها قابلته بجفاء و اعتذرت منه باسم الصداقة وتمضية للوقت، وهذا ما خلق فيه انطباعا بجفاء الفكر الأوروبي وماديته، وقرر مغادرة مملكة الخيال وانعزل إلى الجانب الروسي "إيفانوفتش" المتعصب إلى حد التصوف، برفضه للواقع، ولنبي الغرب "كارل ماكس" و ولعه الشديد بأنباء الشرق الذين يعتبرهم قد قدموا خدمات جليلة للناس، فصداقة محسن لإيفان عززت من فكرته حول جماد الفكر الأوروبي و ماديته، فإيفان عكي محسن اعتبر الحياة جميلة في الشرق، لبساطة سكانه، ولطف جوه، عكس حضارة الغرب القائمة على الأنانية، البغض والمادة.

لقد كان لكلام إيفان الأثر الكبير على محسن، الذي لم يعد يبالي بأي شيء فبحكم أنه شرقي ويعرف بيئته، و عاش حضارة الغرب و تعرف إليها أكثر، لم يعد يهتم بالاثنين، فالأولى هي الخيال، والثانية هي الواقع، و محسن بعلاقته مع سوزي أصبح في الوسط تائها لا يعرف أيعود إلى سماء الخيال والرومنسية، أم ينزل إلى أرض الواقع و المادة، فاختار في نهاية المطاف العودة إلى أصله وثقافته، إلى مسجد السيدة زينب، حاميته الدائمة، التي لم تغب عن فكره لحظة، إلا في الفترات التي ينساها هو فيها، غير أن إحساسه الدائم بوجودها قربه، عزز فيه جمال الشرق و سموه الغرب المادي.

المبحث الثالث:

1- صورة السيدة زينب: يلاحظ القارئ لرواية عصفور من الشرق حضورا مميزا لمقام السيدة زينب ، فتوفيق الحكيم، ارتأى أن يكون إهداؤه موجها لها في الصفحة الأولى من الرواية "إلى حاميتي الطاهرة السيدة زينب"[1] و هو اعتراف منه بفضائلها وجميلها عليه، فهي برمزيتها الدالة على الثقافة و البيئة الشرقيتين، كانت مرافقة دائمة لمخيلته لأنها تمثل له الأصل ونبع الإسلام، و البداية كانت عندما دخل محسن الكنيسة الفرنسية لتشييع جنازة زوج بنت مدام شارل، فقد انتابه شعور" كان يهز نفسه كلما دخل القاهرة مسجد السيدة زينب، أيضا عين السكون وعين الظلام في الأركان، وعين النور الضئيل الهائم كالأرواح في جو المكان، إن بيت الله هو بيت الله في كل مكان"[2]

فجو الكنيسة ذكره بالجو نفسه في مقام السيدة، و بدخوله إليها انتابه شعور بأجواء المقام، وقد حز فيه هذا الإحساس، بنوع من تأنيب الضمير حين ولولجه الكنيسة، فكأنما خرج عن دينه أو ارتكب خطيئة لا تغتفر.

فالسيدة زينب هي كالمساعد و الرفيق الدائم لمحسن، فهي لا تغيب عن فكره لحظة، فكلما أحس بضيق "غلا وجد العزاء عند باب ضريحها ذب القضبان الذهبية"[3] فهي دوما بجانبه في الشدة والرخاء "و كل نجاح ظفر به في الحياة هو دفعة من يدها، وكل عطف هو نظرة من عينها وكل ابتسامة من الحظن إنما هي ابتسامه من شفتيها"[4] فهو يتخيلها أمامه ملازمة له في أفراحه و أقراحه، تمده بالعين كلما احتاج ذلك، و من جهة أخرى يرى أنها تنساه حين تقسوا عليه الظروف، ليعود بذاكرته فيرى أنه هو من نسيها.

---

[1] توفيق الحكيم-عصفور من الشرق-دار المعارف- القاهرة- مصر طبعة 1974 ص 08

[2] المصدر نفسه ص 18.

[3] المصدر نفسه ص 95.

[4] المصدر نفسه ص 95.

وقد أعطاها الكاتب دورا مميزا في الرواية على الرغم من عدم وجودها لكنه كان يتخيلها أمامه، و كأنه يراها، يذكر أنها في المسجد المسمى باسمها" هي التي تقلب له صفحات الكتب، هي التي كانت تجفف بأناملها الرقيقة . . . دموع حبه الأول وآلامه الأولى"[1].

فالبطل يعتبرها طريقا صحيحا وجب عليه سلوكه، لأنها صديق له من أهل السماء، كان يراها مكملة له، بدونها هو لا شيء، ترفع معنوياته عند إحساسه بالفشل، يتذكرها لأنه هو من نسيها " فهو لو شعر لحظة أن السماء ليس لها وجود، و أنها جرداء حدباء، غير عامرة بكائنات عليا تتصل حياته بحياتها، و أنه إذا شعر أن بينه وبين الأرض وحدها إلى الأبد لما عرف كيف يستطيع تحمل الحياة دوما واحدا"[2].

كان يربط كل إخفاقاته في الحياة، و بخاصة تجاه "سوزي" كنتيجة لنسيانه لها، كأنها حاميته التي في السماء ولومه لنفسه يراد كعقاب منها نظير تجاهله لها، لكن عندما يتذكرها يختلجه شعور براحة نفسية عالية، وكأنه يحلق في السماء، تأخذه إلى البيئة الشرقية الصافية، أين جو المسجد الهادئ الذي يجعله و كأنه أقرب إلى روح السيدة الطاهرة.

فكما أن السيدة زينب هي حامية و نصيرة لمحسن حيث يقدمها و يجعلها مرافقة دائمة له، نجد من جهة أخرى مثلا "السيدة مريم العذراء التي هي حامية ونصيرة روحية لبعض المهاجرين من المثقفين الشرقيين" [3] فالاثنين معا هما تمثيل لديانة و محسن باعتباره شرقيا مسلما، فهو يجعل السيدة زينب كرباط مقدس به دوما، يشعره بديانته وأصله وثقافته، تزرع فيه الروح الإسلامية.

---

[1] المصدر نفسه ص95

[2] المصدر نفسه ص97

[3] عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر لبنان-بيروت، الطبعة 01 سنة 1985 ص 282.

فوجود السيدة في كامل الرواية، في ذاكرة البطل خصوصا له إيحاء وتجسيد كبير على وجود امرأة من الشرق . تظهر بين الفينة والأخرى بين أفكار البطل خاصة عندما يحس بالوحدة و اليأس، فوجودها هو كالأمل الذي يعيد بعث الروح فيه، لأن روحها سامية في الأعلى كما يسمو هو في تخيلاته.

وقد قدمتها لنا الرواية في صورة امرأة في العالم الآخر لها فوائد كثير، ونعم بالغة على البطل فهي الطاهرة المنقضة له كلما احتاج إليها.

2- صورة العجوز "أم أندريه"

أ- الصـــورة الاجتمـــاعيـة: من خلال رواية "عصفور من الشرق " يستوقفنا الحضور المميز و الصغير لدور العجوز "أم اندريه"، والتي هي مثال للعجائز الأوربيات الباقيات في المنزل، والتي تمثل أيضا الجيل الماضي الذي يسعى بكل جهد للتأقلم في حاضر أبنائه.

فالعجوز هي أم اندريه ومارسيل، إنسانة طاعنة في السن ، لكنها ملزمة برعاية حفيدها "**جانو**" ابن أندريه، وذلك لغياب والديه عن المنزل في فترة عملهما، فكانت مسؤولة عنه و عن راحته، تلعب و تلهو معه، كي لا يشعر بالضجر، وتحرص عليه جيدا، ولا تتركه يغيب عنها لحظة، و هذا ما نستشفه من قولها حينما أراد حفيدها الذهاب مع محسن خارج البيت فقالت له: "لن تذهب اليوم، المطر ينهمر في الخارج، والبرد شديد"[1] فهي تحججت بالمطر لكي لا يغيب عن نظرها، وكلما رغب في شيء إلا وتصر عليه بالبقاء، و اللعب في محاربة "البوش" وهم الألمان فمن خلال حديثها نميز أنها تكن بغضا شديدا لهم، وتتحاشى الكلام عنهم.

وحسب وصف محسن لها، فهي كأي عجوز تنتابها فترات خصام مع زوجة ابنها "جرمين" لسبب أو لآخر، فعند ولوجه لأول مرة إلى منزل اندريه، أرادت العجوز أن تسمعه صورتها، وتوريه براعتها في العزف على البيانو لما أدخله من بهجة و سرور إليها، فكان أن عزفت وغنت له، و كان نهاية كل شجار عنيف نشب بين المرأتين (العجوز وجرمين) لم يعرف له محسن سببا في ذلك.

[1] توفيق الحكيم-عصفور من الشرق ص 39.

وعلى الرغم من هذا، فهي امرأة طيبة، و هذا ما يتجلى من خلال حديثها وحوارها مع محسن، فقد كانت معاملتها له حسنة، كأنه فرد من العائلة، لا تضعه في صف الغرباء، و إن كان عربيا، نظرتها إليه لم تكن خاصة، ألفت وجوده معهم، يشاركهم طعامهم و حديثهم و قد حاولت هي بدورها مد يد العون إليه، فحين هم بالذهاب إلى الأوبرا، وأراد التشبه بالموسرين، ساعدته في التحضير للباس المخصص لهذا النوع من الحفلات، فهو لا يعرفه ولا يعرف أجواء الأوبرا وإنها تحتاج لأناقة كبيرة، و هذا ما فعلته العجوز معه، فهي صورت له الأجواء، ولم تتركه يذهب إلى هناك دون علم مسبق بأحوالها.

فصورت العجوز كما تظهر لنا الصفحات الأولى للرواية، هي كامرأة عادية، حاول الكاتب أن يبرز لنا من خلال حضورها صورة مصغرة عن المرأة الغربية، و بمعاملاتها و تصرفاتها، لا نجد فرقا بينها وبين مثيلاتها من العالم العربي.

ب- الصـــورة النفسيـــة: أم اندريه، أم حنون و إنسانية واعية فبحكم التجربة في ميدان التربية، فهي تعرف مدى تأثير تربية الوالدين على الطفل، و حاولت مرارا إفهام ذلك "لجرمين" فرعايتها "لجانو" لم تثنها عن تربيته وتعليمه أصول الكلام، وحسن السلوك، و هذا ما نراه من عتابها له، فحين قدمت له "جيزيل" الحلوى لم يشكرها، و حاولت إفهامه ما يجب قوله لأنها لقنته ذلك مرارا فكان أن عاتبته على النسيان و أردفت قائلة لجرمين و أندريه: " هذا ليس من عملي، إنما من عمل الأبوين وما دمتما تتركان لي ابنكما طول النهار، و تنصرفان إلى المصنع، فلا أمل في أن ينشأ ولدكما على الخلق القويم..."[1] فهي تحاول توعيتهما قبل فوات الأوان، و أردفت قائلة لجرمين: "إياك أن تنسي لحظة أهمية تأثير البيت... في زمننا كان البيت هو كل شيء".[2]

(وكأن الإحساس الذي يجول بفكرها، هو نفسه الذي يجول بفكر الأمهات العربيات)، فالمدرسة تعلم أيضا، لكن تربية المنزل هي الأساس، و هذا ما جعلها تتأسف لما آل إليه المجتمع في هذا الوقت، فالمرأة والرجل في المصنع طول النهار، و الأطفال في جهة أخرى.

---

[1] المصدر السابق ص 44

[2] المصدر السابق ص 45

وفي هذا الإطار دائما نجدها في حالة تذمر من الوضع الحالي و ظروف العمل، الذي يستمر من الصباح إلى آخر المساء، و هو في نظرها إجحاف بحق العمال فنراها تعبر عن ذلك بقولها "يا لها من وحشية ...إن هذا لم يعد يسمى عملا، إنما هو الاسترقاق... الرق لم يذهب من الوجود... لقد اتخذ شكلا آخر يناسب القرن العشرين... ها هي ذي جيوش من العبيد يسخرها أفراد معدودون من السادة الرأسمالية... "[1] فمن شدة تذمرها، تتأسف لحال الاشتراكية تحت وطأة الرأسمالية الأمريكية فهي تراهم السبب في غلاء كل شيء.

و من جهة أخرى تظهر لنا في حالة يأس لعدم وجود أي مصدر رزق للعائلة (من غير أندريه ومارسيل) و عدم كفاية معاش زوجها فحين خاطبها هذا الأخير، عن قلة المعاش أجابته "صفوة القول ليس لنا أن نأمل في عمل بأحد المصانع"[2] و ذكرته أيضا أن ولديهما "أندريه و مارسيل لن يستطيعا بعد اليوم إمدادنا بالمال، فقد اعتزم أندريه إلحاق ابنها جانو بمدرسة داخلية، وفي هذا باب جديد للنفقات سيكلفه المسكين، كذلك مارسيل يتكلف الباهض من المال منذ عام في الإنفاق على تعليم جيزيل"[3] فهي تحس بثقل مسؤولية ابنيها، وعدم كفاية نفقتهما على حالهما هم و أبناؤهم، حتى ينفقا عليها هي و زوجها، فالحل الذي كانت ترى وهو أملها الوحيد، هو نفقة محسن، ثمن إقامته بالمنزل، فقد كانت تأمل ببقائه، وهذا ما قالته لزوجها:" من يدري... لقد قال لي ذات يوم إنه سيمكث عامين أو ثلاثة... آمل إلا يسأم من حياة الريف و يفر إلى باريس"[4] فبقاء محسن معهم، هو بصيص الأمل الوحيد الذي تتشبث به العجوز في سبيل نفقة ولو قليلة.

---

[1] المصدر السابق ص 41
[2] المصدر السابق ص 38
[3] المصدر السابق ص 38.
[4] المصدر السابق ص 39.

ومن زاوية أخرى نلحظ أن هذه العجوز تبدو إيجابية التعامل والتفكير، إلا أننا نحس أنها تكن بغضا كبيرا للألمان، أو كما تسميهم "البوش" وهذا ما نلحظه في أسلوب تعاملها مع "جانو" حفيدها و كيف تبعث فيه روح كراهية الألمان منذ الصغر فصورتها الرواية جاءت تقدم الجيل القديم من الفرنسيين من ناحية التفكير ونظرتها إلى الحياة التي تراها حسب رأيها تسير من السيئ إلى الأسوأ. و هي لم تبخل بنصائحها و توجيهاتها على جميع أفراد الأسرة، خاصة في مجال تربية "جانو" فخوفها من المستقبل يجعلها تتنبأ بتنشئة اجتماعية دخيلة عليهم، فإهمال الوالدين لرعاية أبنائهم، إجحاف في نظرها وتفريط منهم في مسؤولية واجبة عليهم، قد يكون لها عواقب وخيمة مستقبلا.

3- صـــــــورة جـــرميـــن:

أ)- الصـــــورةالاجتماعيـــة: جرمين هي امرأة فرنسية في مقتبل العمر، زوجة أندريه جذابة و جميلة، و أم لصبي هو "جانو" عاملة في المصنع مع زوجها وتقيم مع حماتها في منزل واحد.

يصورها لنا الكاتب في البداية كعاملة تعود كل يوم متعبة ومرهقة من شغلها و هي تحاول مساعدة زوجها لتوفير حياة كريمة لهما ولابنهما "جانو".

كما تبرزها لنا الرواية في صورة امرأة واعية غير متكبرة على وجود محسن بل حاولت التقرب منه و مساعدته للوصول إلى قلب محبوبته من خلال نصائحها، فهي فرنسية و تعلم ما يجول بفكر الفرنسيات أمثالها، لقد عرفت أنه يعيش في الخيال أكثر من الواقع و نصحته بالابتعاد عن هذا الخيال الذي هو مصدر فشله و ذلك ما قالته لزوجها أندريه: " لا سبب عندي لفشل محسن غير أنه خيالي أكثر مما ينبغي و المرأة لا تقنع بالخيال بل بالحقيقة"[1] فهي أفهمته أن فكر الفرنسيات لا يمكن أن ينزلق إلى الخيال وهن يبحثن عن الحاضر والمادة.

كما نجد أنها حاولت توعيته بأن الخيال الذي يصنع له وزنا الحقيقة أفضل منه وهي في متناوله وليست صعبة المنال و يمكنه شراؤها بعشرين فرنكا:" بل أقول جدا... عشرون فرنكا فقط تشتري بها من حانوت شارع "هوسمان" زجاجة عطر" هوبيجان" صغيرة و تقدمها إلى صاحبتك في الصباح... هذه هي كل الحقيقة"[2] فزجاجة عطر "هوبيجان" كفيلة في نظرها بجلب قلب "سوزي" إليه و أنه لا مجال للخيال في الحب.

فهي تنصحه كما لو أنها هي "سوزي" وتضع نفسها موضعها محاولة تبسيط وتسهيل الأمر له الذي يراه هو مستحيلا في نظره.

---

[1] توفيق الحكيم – عصفور من الشرق ص 47
[2] المصدر نفسه ص 48

ويبينها لنا الكاتب بصورة امرأة إيجابية حسنة تقف مع محسن و تحاول أن تصنع منه رجلا أنيقا خصوصا عند لقائه "بسوزي" فقد ساعدته و نظفت له معطفه الأسود وجعلته إنسانا جديرا بحبها له، وبما أنها امرأة فهي تعرف كي ترى الفرنسية الرجل وكيف تريده.

فصورتها في هذه الرواية جاءت عبارة عن امرأة واعية، مرت بتلك المرحلة وأحست بها و تحاول وهي امرأة بناء أسرة جيدة لا ينقصها شيء لكن ما يميزها هو افتقادها لعاطفة الأمومة تجاه ابنها الذي تتركه وحيدا طوال فترة عملها، و من زاوية أخرى نلحظ نظرتها إلى الحياة مزدوجة بين اليأس و الأمل لكن و بالرغم من هذه الازدواجية فهي امرأة واقعية و انسجامها العائلي يساعدها على هذا التوازن الرائع.

ب-الصـــورة النفسيـــة: كامرأة "جرمين" تحس بالواقع المعاش فهي كزوجها عاملة بالمصنع يحاولان توفير المال من أجلهما أولا و من أجل تعليم و تربية ابنهما "جانو" فصورتها في البداية تظهر لنا أنها تقضي كل وقتها نهارا في العمل خارج المنزل، و ليس لديها الوقت الكافي لتربية ابنها "جانو" وهذا ما تبرزه لنا الرواية فهي غير أبهة ومكترثة به تاركة هذه المسؤولية لأم أندريه فعندما صرخت عليها هذه الأخيرة لم تغير في جرمين شيء فهي تحس بالمسؤولية ولكن الأمر ليس بين يديها.

وتأتي صورتها النفسية لتظهر لنا وهي في حالة تذمر متواصل من الحالة التي تعيشها يوميا هي و كل أفراد أسرتها، عمل من الصباح حتى المساء ولا مجال فيه للراحة، فلقمة العيش تفرض عليها العمل إلى جاب زوجها كما تظهر لنا أنها ذات شخصية قوية متفهمة و قد أحست بمعاناة محسن و أشفقت عليه لأنه خائب في حبه الأول فقالت له: " لا توجد امرأة في باريس ترفض باقة من الزهر"[1] تحاول مد يد العون إليه، فهي تعلم أن الورود سر التقرب و أن سوزي لن ترفضها منه.

[1] المصدر نفسه ص 50.

ومن ناحية أخرى صورتها الرواية في صورة ساخرة من موقف البطل المبهم من "سوزي" فهو حين يتحدث عنها بشكل خيالي تقول له: " أهذه المرأة في باريس؟... أم في كتاب ألف ليلة وليلة[1] لأنها تعلم أن من يبني لها هذا القصر و يعطيها هذا المقام لا توجد في الواقع و إنما في الخيال فهي بحكم تجربتها تعرف ماذا تريد مثيلات الفرنسيات.

و أراد الكاتب من هذا الجانب من صورة جرمين، أن يعطيها دورا يكون مساعدا للبطل فهي بحديثها إليه و إلى أندريه تعطيه فكرة أو نبذة من الواقع الحقيقي للمجتمع الفرنسي فهي مثلا بسخريتها وضحكها على أندريه لما تذكرت مطعم "بوكاردي" حيث قالت له: " إنه المطعم الذي ذهبت بي اليه يوم لقائنا الأول. ومع ذلك... لم تشأ يومئذ أن تطلب من أجلي أوردقرقارييه' ."[2] فهي تشعره بانه لا مجال للكلام عن الحب والخيال و لكن المادة هي كل شيء في هذا الوقت. محاولة أن تلفت انتباه البطل إلى ما تقوله له لأنها تحس بمعاناته و هذا لم يثنها لحظة عن إفادته بما يقتضه الواقع الأوروبي المختلف تماما عن خيال الشرق، و لا تريد منه أن ينزل أمام أعين حبيبته أملا في أن تبادله نفس الشعور.

فجاءت بذلك صورتها معبرة حقا عن الاقتناع بالواقع و المادة لا غير، وهي لا ترى الحرية إلا في ظل تحقيق العدل الاجتماعي وقد بدت صورتها كإنسانة بسيطة هادئة تناقش الأفكار المعارضة بدون انفعال و تتحمل المشاق بصبر كبير.

---

[1] المصدر السابق ص 49.
[2] المصدر السابق 101.

4- صـــورة سوزي ديبـــون:

أ- الصـــورة الاجتماعيـــة: سوزي ديبون هي فتاة فرنسية، عاملة بشباك التذاكر بمسرح الأوديون وشابة جميلة شقراء ذات عينين واسعتين في لون الفيروز، ذات أهداب طويلة و إضافة إلى كل هذا الجمال الجسدي فهي فتاة ذكية تعمل من أجل كسب قوتها اليومي، تعمل نهارا بالمسرح لتعود وتقيم بفندق الأكاسيا لوحدها ليلا، فحياتها كانت عادية كالبقية وهي إنسانة محبة ومحبوبة.

فالرواية تبرز لنا سوزي من الوهلة الأولى التي رآها فيها محسن بأنها فتاة تختلف عن بقية الفتيات بجمالها و صمتها، ويبدو أنه أحبها لأنها لما تكون في" شباك تذاكر الاوديون يحييها صباحا ومساءا، ينظر إليها طول النهار تجلس في أريكتها خلف القضبان اختارها فيما يبدو لأن شباك القضبان يمنع الآخرين من الوصول إليها، أحبها بكل جوارحه فكانت مثله الأعلى"[1] فبهذه الطريقة استطاعت سوزي أن تحبه إليه، و ما زاد تشبثه بها هو دفعها لثمن غسيل الثياب للغسالة كما طلب منها "سيدتي... لا أجد معي الساعة نقود فإذا تفضلت و أديت عني الحساب فإني لن أنسى لك هذه اليد ولك جزيل الشكر سلفا"[2] ولبت له طلبه دون أن تقول شيئا وهذا ما جعلها تتبوأ مكانة عالية في قلبه بحيث بني لها قصرا من قصور ألف ليلة وليلة وجعلها ملكة فيه ولم يحاول أبدا معرفة أي شيء عن ماضيها، فقد كان همه فقط هو الوصول إلى قلبها، و هذا ما أثار انتباه سوزي ففكرت في أمره: "أهو شرقي متوحش لا يعرف الآداب و اللباقة... ،لا يكمن أن يكون ذلك الفتى جاهلا إنما هو تصرف مقصود، لماذا؟!"[3]

---

[1] سالم المعوش- صورة الغرب في الرواية العربية الطبعة الأولى مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر بيروت لبنان سنة 1998 ص 365

[2] توفيق الحكيم – عصفور من الشرق-ص 84.

[3] المصدر نفسه ص 85و 86.

فتساؤلها الدائم عن سر هذا الفتى جعلها تعرف مقصوده و لهفته المتكررة عليها، فكان أن فسحت له الطريق، دون أن تبين ذلك، تشاركه الحديث صباحا عبر النافذة، خاصة بعدما أهداها ببغاء كانت في نظره أجمل هدية يهديها لها، وتقبلتها سوزي بفرح وابتسامة، وهكذا كان التواصل بينهما، فالبطل جعل الببغاء وسيلة للتقرب منها حيث قال لها:

ـ لست أطلب شيئا إلا أن أكون مثله بالضبط.

فأجابته: لست في قفص.

فرد عليها:- آه يا سيدتي... إني في قفص لا يراه كل الناس.

فنظرت إليه الفتاة مليا ثم قالت باسمة:

ـ إذا كنت حقيقة ذلك فأنت تستحق إذن شيئا من ذلك العطف الذي تمنحه الطيور السجينة في الأقفاص.

فرد عليها يقول: - ثقي أنني أشد الطيور الأرض استحقاقا لعطفك!

فأجابته: وما نوع العطف الذي تريده مني؟... إني بالطبع لا أستطيع أن أقدم إليك قليلا من القرطم"[1]

فهي تعرف معنى كلامه جيدا، و تعرف مراده، لذلك بدأت تسلب عقله ببطء فكان اللقاء الأول بمطعم "البوكاردي" ليلا، لقاء بت له فيها كإنسانة رقيقة محتشمة ليست كالبقية، وما زاد تعلق البطل بها هو رسالة الاعتذار التي بعثتها له تقول فيها: "ارجو منك ألا تنتظرني في المكان المعروف فإنني سأبقى في العمل ساعة متأخرة لظروف لم تكن في الحساب"[2].

فحسن تعاملها معه، أعطاه انطباعا بجديتها في علاقتهما معا، وهي على هذا الشكل لم تبد حقيقتها و أنانيتها في التصرف.

---

[1] المصدر نفسه ص 99.
[2] المصدر نفسه ص 107.

و حسن تعاملها مع البطل يتجلى لنا في عدم رفضها دعوته إليها في غرفته، فقد بدئ لها الأمر عاديا، وجلست بالقرب منه تتصفح كتابا به شعر "الأناكريون" و قرأت منه سطورا كما طلب منها، وعند فراغها من القراءة بقى " بصرها جامدا على السطور وكان الفتى قد دنا منها يقرأ معها صفحة واحدة، فأحس بشعرها المعطر قد انترت خلاصته الذهبية على وجهه كما تنتشر أشعة القمر على الكائنات... و لم يفطن إلا إلى وجه سوزي الناعم الحار قد لاصق وجهه، و كأنها تقبله... نعم إنها بين ذراعيه تقبله وهي حقيقة واقعة الأن"[1] فأذاقته من متعة الحب دون أن يشعر، وسقط البطل في شباكها الذي نصبته له" و فعل الواقع فعلته في علاقة المحبين، فإذا بمحسن يخالف كل هؤلاء"[2].

و مضت باقي الأيام هكذا، يستيقظ البطل كل يوم على صوت غنائها وهي مع كل هذا الفيض من المشاعر، لم تزده سوى غرقا في أحلامه، ولم يستفق منها إلا بعد اكتشافه لحقيقتها على أرض الواقع حين أذلته أمام رئيسها في العمل "هنري" وأهملته بصمتها وأهانت كرامته، فهي لم تبال به، وكأنها لم تعرفه قط لأنها وضعت مصلحتها عينها ولا شيء آخر فحتى توسلاته لها لم تشفع له، إذ قال لها: "وبعد؟ ... ألا تقولين كلمة؟ لقد قضي الأمر إذن؟ ولم أعد ببغائك العزيز؟ وأنت ما عدت تحرصين على شهيتي للطعام أو الشراب، و الإقبال علي تحدثنني كما كنت الآن تفعلين"[3] فبالرغم من كل هذا الإلحاح لم تبادله الكلام، ولم ترد عليه، وتركته وحده مع أحلامه يتخبط ذليلا مهانا أمام نظرات رئيسها في العمل، يتجرع ألم التوسل بينما هي تقلب صحيفة طلبتها من المطعم، و تدوس على كرامته بصمتها وقسوة قلبها.

فمحسن الذي صنع لها تمثالا في عالمه الخيالي، لم تكترث به حين قال لها: "إنك تحملينني من الإذلال ما لا أطيق"[4]

---

[1] المصدر السابق ص 110 .
[2] سالم المعوش- صورة الغرب في الرواية العربية ص 366 .
[3] توفيق الحكيم – عصفور من الشرق ص 120.
[4] المصدر نفسه ص 120.

ولم تشفق عليه بل زادته ألما على ألم وصدت باب غرفتها في وجهه، و هكذا سقطت في نظره من السماء، والقصر الذي بناه لها إلى الأرض، فهي اختارت مصلحتها الشخصية على حب شرقي بائس، وأصبحت لا تعيره أي اهتمام ولا تستجيب لدعواته وهواجسه، ولهفته المتكررة فقد كانت قاسية وخشنة التعامل معه لأنها أنانية وساخرة بطبعها، وهذا ما قاله لها محسن صراحة في آخر رسالته لها: " لست أحبك سيدتي، إني أتهمك بالأنانية ولكن عتبي عليك لا يعدو أمرا واحدا صغيرا كان يحسن بك أن تخبريني بمهمتي حتى أحترق على علم، وأفيد الغير عن رضا، ولكنك شئت أن تسخري بي من تحت قناعك حتى تكون لك المتعان..."[1] فمحسن واجهها بحقيقتها ونزع قناعها الخفي، وأدرك أنه لم يكن سوى لعبة تسلت بها وقت فراغها، فسوزي لا تقنع بالخيال بل بالحقيقة، وهي تحب لكن في إطار مصلحتها الشخصية، فحبها للبطل أو بالأصح إيهامه بأنها تحبه نما في فكرة مادية هذه الفتاة وأنانيتها وهي : أنانية لا تعرف غير حياة الواقع ولا يهمها شقاء الغير ولا تحب الحياة إلا في الحياة"[2] إنها ذكية وحيوية رسمت خطوط حياتها بشكل يخدمها ويعود عليها بالفائدة، ففضلت هنري على العصفور الشرقي.

لكن بكل سلبياته هذه فهي زادت في توعية فكر محسن و جعلته يعيد حساباته في مشاعره مستقبلا، لأنه مزج الخيال بالواقع غير أنها كانت: "علاقة حب من نوع خاص، علاقة قائمة على الخيال أكثر من الحقيقة "[3] فهو الذي رسم لها قصرا وجعلها ملكة فيه" تشرق على الناس بعينيين من فيروز، وهم يمرون أمامها الواحد تلو الآخر من كل جنس ومن كل طبقة فيهم الفقير مثلي، وفيهم الموسر مثل ملك من الملوك..."[4] فعجرفتها وسخريتها به ساهمتا في بناء بطل جديد يتبين الصحيح من الخطأ والواقع من الخيال.

---

[1] نفس المصدر السابق ص 129.

[2] سالم المعوش-صورة الغرب في الرواية العربية ص 369

[3] عبد القدار شريف بموسى – أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية(مقاربة نفسية) أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث قسم اللغة العربية وآدابها إشراف :د محمد مرتاش جامعة سيدي بلعباس سنة 2004 ص 15

[4] توفيق الحكيم – عصفور من الشرق ص 49

فوجود سوزي في الرواية، ومن هذا المنظور هو تمثيل لأوروبا "لقد وجدت لتخدم فكرة الصراع بين الفن والحياة، و لتؤدي أيضا دورا آخر يتمثل في عقوق أوروبا وانحطاطها"[1] فهي كانت ذات وجهين أحدهما مسالم طيب، والآخر خفي وهو الحقيقي لشخصيتها. وقد اكتشف محسن الوجه الخفي لها "فأوروبا مثلها مثل سوزي شقراء جميلة رشيقة ذكية لكنها حقيقة أنانية لا يعنيها إلا نفسها واستعباد غيرها"[2] و بطبعها تمثل لنا ثقافة الغرب نحو الآخر و "محدودية الغرب وتفاهة حضارته من خلال إثبات محدودية الفتاة الغربية (سوزي) و تفاهتها"[3] فيما تفعله سوزي بمحسن، وهو ما تفعله أوروبا بالشرق، لذلك جاءت صورتها كمثيل كامل ونظرته تجاه الشرق الدوني.

ب- الصـــورة النفسيـــة: سوزي ديبون، قاطعة التذاكر بمسرح الأوديون أوربية التفكير والمنهج في الحياة عملية وغير خيالية، أسلوبها في الحياة هو الحياة نفسها، يكتنفها الكثير من الغموض، لكن مظهرها وأفعالها توحي لنا بشخصيتها وطريقة تفكيرها.

فالكاتب يبرزها لنا في بداية الرواية، كإنسانة خائفة لكن ذلك لا يبدو عليها فعندما خاطبها رئيسها في العمل "هنري" عن الفتى الذي يراقبها باستمرار أجابته" مجنون... هذا كل اعتقادي"[4] وهي في داخلها مشمئزة منه، ومن تعامله الغليظ والعنيف معها. فكان أن قلبت كل هذا الغضب إلى مدح وإطراء له بقولها:" لا يا عزيزي هنري... أنت العقل بعينه... أنت أعقل مما ينبغي... آه يا سيدي لقد تبين لي أنك أعقل مما كنت أتصور... هنيئا لك..."[5] فهنا نلمس نوعا من الخضوع له، فخوفها على مصب عملها يتطلب منها ذلك، فهي في قرارة نفسها تعلم أن ما تقوله غير صحيح، لكنها تتحمل ذلك رغما عنها.

---

[1] سالم المعوش-صورة الغرب في الرواية الغربية ص 372.
[2] جورج الطرابيشي- شرق و غرب رجولة و أنوثة- دار الطليعة للطباعة و النشر-بيروت لبنان- الطبعة الثانية سباط (فبراير) 1979 ص27 و 28 و 29.
[3] عبد القادر شريف بموسى- أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية – مرجع سابق ص 17
[4] توفيق الحكيم – عصفورة من الشرق ص 52
[5] المصدر نفسه ص 52.

وارتضت أن تقيم علاقة جسدية معه من غير " أن تكون مولعة به، تتحمل سطوته ونوبات غضبه وشتائمه طبعا مها في الحفاظ على لقمة عيشها"[1].

وتظهر لنا صورتها من زاوية أخرى، كامرأة مسيطرة على فكر محسن، استلهمت عقله وجعلته مجنونا بها واستطاعت بهذه السيطرة أن تنزله من عالم الخيال إلى الواقع و" كم كانت دهشته عظيمة عندما رأى أن المسألة أهون بكثير مما تصور بهذه السهولة التي انقلب بها الحلم واقعا، هي التي جعلت الفتور يدب في قلب محسن من اللحظة الأولى"[2] فمن كثرة سطرتها عليه، وإيهامه بحبها له ازداد تعلقه بها" وبخاصة بعدما ألقت بنفسها بين ذراعيه، فنال منها ما يريد دون تردد أصبحت كالأفيون يدمن على تعاطيه ولا يقدر أن يقلع عنه، فأصبح متيما بها إلى أبعد الحدود"[3] فضعف شخصيته أمامها ولد فيها حب السيطرة عليه فجعلته كلعبة بين يديها تفعل به ما تشاء.

ونلاحظ أن لعبتها انتهت عندما خفق قلبها خوفا من رد فعل هنري عدما رآها وهي جالسة مع البطل على الطاولة نفسها في أحد المطاعم، فما كانت تبصره " حتى تغير وجهها، وانقلب كل شيء فيها رأسا على عقب، وطلبت من غلام المطعم مجلة مصورة جعلت تتأمل صورها في صمت كأنها غير حافلة بوجود محسن".[4]

فهذا الصمت كان له معنى في نفسها و تفكيرها. فسوزي" لاعبة ماهرة أنثى خالدة مجبولة بطين المكر والخداع، فهي قد اتخذت منه وقودا لإيقاظ حرارة الغيرة في قلب هنري"[5]

فذكاؤها جعلها تحسب ألف خطوة لمستقبلها تستعمل جمالها ورشاقتها كوسيلة لجذب هنري أكثر إليها، وذلك على حساب محسن الذي بقي وحده يتجرع آلام الغدر وذل المهانة" "يتقلب على أحر من الجمر، مكتويا بنار الخيبة ونار الخدعة"[6].

---

[1] جورج الطرابيشي– لعبة العلم و الواقع- دراسة في أدب توفيق الحكيم- دار الطليعة للطباعة والنشر –بيروت- الطبعة الثانية 1979 ص 41 .

[2] المرجع نفسه ص 43.

[3] سالم المعوش- صورة الغرب في الرواية العربية ص 367.

[4] جورج الطرابيشي– لعبة العلم و الواقع ص 44.

[5] المرجع نفسه ص 43.

[6] جورج الطرابيشي- لعبة الحلم و الواقع ص 46.

ولم تشفق على حال البطل ولتوسلاته التي طال صبره عليها حتى تبادله الكلام فقال لها: " وبعد؟... ألا تقولين كلمة؟... لقد قضي الأمر إذن، ولم أعد ببغاؤك العزيز؟... وأنت ما عدت تحرصين على شهيتي للطعام أو الشراب، والإقبال على تحدثينني كما كنت الآن تفعلين؟.

فلم تجب ولم ترفع رأسها و مضت تقلب الصورة، فقال في غضب مكتوب ساخر: "ثقي أن خليلك قد اقتنع الآن كل الاقتناع أنك تفضلين قتل الوقت بمطالعة المجلة، على الحديث مع مثلي... نعم لقد فهم الآن أني لا أساوي شيئا في نظرك. فلم تقل شيئا"[1].

فهي لم تحرك ساكنا تجاهه كأنه غير موجود قط، وأنها جالسة لوحدها فقط وأمامها مجنون يتحدث لوحده. فقلقها الشديد و خوفها جعلا تصرفها هكذا فوجود هري المفاجئ في المطعم قلب موازين تفكيرها، ولم تعد تعرف ماذا تفعل غير نكران وجوده (البطل) معها لتبعد الشبهات عنها أمام نظرات هنري لها وكأنها رسالة إليه تقول له فيها محسن هو من يلاحقها، وهي غير آبهة أو مكترثة به، بتجاهلها له وعدم الرد على أسئلته.

وكما صورها لنا محسن من خلال اتهاماته لها بأنها" شقراء، لاهية، عابثة، ومادية وأنانية لا تعرف غير الواقع ولا تحب الحياة إلا في الحياة"[2] فقد أحبت محسن لكن حبها لهنري فيه منفعة، وهي تعلم ذلك جيدا وهو أضمن لها لبقائها عاملة في المسرح، أما محسن فقد جعلته كتمضية للوقت فهي" خائفة و خانت حبه لها أو بالأحرى خانت فنه بمجرد اهتمامها بالحياة نفسها"[3]

---

[1] توفيق الحكيم – عصفور من الشرق ص 120.
[2] جورج الطرابيشي– شرق وغرب رجولة وأنوثة ص 27.
[3] سالم المعوش- صورة الغرب في الرواية العربية ص 370.

وفي شكل آخر نلاحظ سوزي وقد انزاح عنها ستار وجهها الخفي، في حالة ندم وتأنيب للضمير نظير ما فعلته بالبطل حين ردت على رسائلها بقولها: "إن خطابك وما فيه من الصواب وما جاء من عتاب قد أشعرني بقبح موقفي حول الاسبوعين المعروفين، ولقد عدت إلى حجرتي بعد تلاوة كلماتك وأنا حقيقة متألمة ولقد وودت لو أني لم أعش قط هذين الأسبوعين إني خجلة ولا أستطيع أن أقابلك وجها لوجه !... كيف السبيل لمحو كل هذا من ذاكرتك وذاكرتي !..."[1]

فهي من جهة تتأسف لما آل إليه وضعهما، ومن جهة أخرى ترى في كل هذا سهولة لنسيان ما حدث فهي " لا تنظر إلى محسن إلا على أساس أنه مجرد ببغاء عزيز ومسلي لبعض الوقت"[2].

و اتضحت صورتها أكثر و أكثر لديه، عندما سخرت منه ولعبت بمشاعره وعواطفه إذ قالت له: "لست أنكر أني كامرأة تحب بكل جوارحها قد كنت حقا أنانية ، إني فكرت بالفعل ذات يوم في أمر تصرفاتي و تنبهت إلى ما فيها من ضر و شر و لكني مع ذلك أقدمت على هذا الشر آملة أنك لن تعجز عن الانفصال عني"[3].

فبالرغم من اعترافها بجسامة خطئها في حق محسن سخرت من حبه وجعلته مجرد لعبة، و تمنت لو بادلها الشعور نفسه، وهو الذي جعلها ملكة و أسكنها أفخم القصور، فارتباكها وحيرتها بين الاختيارين (الحب ولقمة العيش) كان صعبا، وقد اختارت الحقيقة لا الخيال و الرومانسية، لأنها تضمن لها البقاء في الحياة ومسايرتها، فهي بهذا الخطاب وهذا الاختيار" أجهزت على أمله ذبحا بخطاب رقيق رقة حد السكين المسنون"[4].

فسوزي قتلت البطل عندما نزل إلى الأرض وتركته وحيدا يتخبط وسط دماء جراحه البليغة التي أصابته بها.

---

[1] توفيق الحكيم- عصفور من الشرق ص135.
[2] عبد السلام الشاذلي- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ص279.
[3] توفيق الحكيم- عصفور من الشرق ص 135.
[4] المصدر نفسه ص 141.

و من جانب آخر ودائما مع رسالة الاعتذار التي بعثتها سوزي للبطل نلمس نوعا من الإشفاق و *الذي كان ربما كنتيجة لتأنيب الضمير منها على وقاحة تصرفاتها معه إذا تقول" صدقنني إني* محزونة حقا لهذه النتيجة!... و إني من أعماق قلبي أبدي لك شديد أسفي!... لكن... ماذا عساي أستطيع أن أفعل لأنال الصفح؟!... إن آلامك تترك في نفسي ألما عميقا!... و أرجو منك أن تثق بذلك!..."[1] فإحساسها بخطئها جعلها تعترف أنها مذنبة، تلحق الأذى بمن تشاء لتعود هي بدورها و تطلب الصفح منه كأصدقاء فقط.

لكن سوزي ماهي:" إلا فتاة ككل الفتيات ... و عاملة ككل العاملات "[2].

و هذه هي حقيقتها التي تجلت عند البطل، الذي كانت صدمته قوية إلى درجة كان معها نزول قوي لمملكة الخيال التي عاشت فيها معبود ته الملكة سوزي ديبون لتصير فقط عاملة بسيطة في شباك قطع التذاكر.

فسلوكها مع البطل فيه ازدواجية ونفاق، فهي من جهة تعرف أن علاقتها مع محسن لم تكن سوى كتمضية للوقت معه، ومن جهة أخرى كانت تريد أن تحقق سعادتها العاطفية لكنها لا تفكر في الزواج به، و هذا كله كان على حسابه طبعا فهو المنهزم في هذه اللعبة التي رسمتها له.

فصورتها في رواية "عصفور من الشرق" هي صورة لأوروبا، و محسن بصفته ممثلا للشرق فهو يجعل منه " رجلا وفنا ومثلا، ومن الغرب (التي تمثلها سوزي) أنثه و مادة وواقع"[3].

---

[1] المصدر السابق ص 131 و 132.
[2] المصدر نفسه ص 111.
[3] عبد القادر شريف بموسى-أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية ص 127.

فقد اكتشف سلبياتها و اكتشف بأن " فتاته ليست إلا غانية خليعة، لا قلب لها ولا ضمير، وليست لها قيمة روحية ولا خلقية، وأن مآلها السقوط ممزقة الجسد تحت موائد المعربدين"[1] فسوزي ماهي إلا تفاحة حلوة داخلها دود.

من هنا نستطيع القول بأن الصورة النفسية لسوزي في هذه الرواية جاءت سلبية إلى درجة كبيرة، فهي امرأة أنانية، لا تحب إلا نفسها ولا يهمها شقاء الغير فمن أجل مصلحتها تتلاعب بمشاعر الآخرين، و تعبث بعواطفهم النبيلة (محسن من بينهم) تزجية للوقت ثم تتركم حيارى يصارعون المذلة و الهوان.

[1] توفيق الحكيم – عصفور من الشرق ص 159.

الفصل الثاني

صورة المرأة في رواية قنديل أم هاشم

المبحث الأول:

- تعريف يحي حقي.

المبحث الثاني:

- ملخص عام للرواية.

المبحث الثالث:

- صورة الست عديلة.
- صورة فاطمة النبوية.
- صورة نعيمة.
- صورة ماري الانجليزية.

المبحث الرابع:

- مقارنة بين صورة المرأة في رواية قنديل أم هاشم وعصفور الشرق

يحيى حقي

المبحث الاول:

★المولد والنشأة:

يحيى حقي ولد في القاهرة سنة 1905 الأسرة من أصل تركي تقطن حي السيدة زينب بالقاهرة وهو الحي الذي قضى فيه سن طفولته فكانت الولادة والنشأة سببا لارتباطه الوثيق الذي لازمه طول حياته بالأحياء القاهرية الشعبية القديمة وبأهلها وتقاليدهم.

ويتضح هذا الارتباط الوثيق في كثير من قصصه وكتاباته[1].

ولد محمد حقي في درب بحي السيدة زينب وكانت عائلته ذات جذور تركية قديمة وقد استوطنت مصر نحو: (1282ه-1865م).

نشأ يحيى حقي في جو مشبع بالأدب والثقافة.فقد كان كل أفراد آسرته يهتمون بالأدب ومولعين بالقراءة أما بالنسبة إلى والده محمد حقي فقد كان موظفا بوزارة الأوقاف وكان محبا للقراءة والثقافة وكانت أمه حريصة على قراءة القرآن الكريم ومطالعة الكتب الدينية[2].

كان يحيى حقي ثالث سبعة إخوة:خمسة ذكور وبنتان وكان إخوته يحملون جميعا أسماء الأنبياء، فأكبرهم"إبراهيم" الذي بدأ حياته بالكتابة الأدبية في مجلة "السفور" وثاني "إسماعيل" الذي عمل بالتدريس في بعض المعاهد المصرية وجامعة الملك سعود،وترجم كتابا في الفلك والقضاء ثم زكريا الذي عمل طبيبا وموسى الذي تخرج من كلية التجارة ثم حصل على ماجستير في السينما أما الأختان فهما فاطمة و مريم.

و في هذا الجو نشا يحي حقي متأثرا بالأدب القديم والحديث: فقرأ لعدد كبير من أدباء العرب القدماء كالجاحظ وأبي العلاء المعري كما تأثر بعدد من الكتاب الصربيين مثل : فرجينيا وولف و أناتول فرانس.

---

(1) معجم الروائيين العرب -د-سمير روحي الفيصل- الطبعة الأولى-1990-1415 طرابلس-لبنان ص151.

(2) رسائل يحي حقي إلى ابنته نهى حقي-إبراهيم عبد العزيز-الهيئة المصرية القاهرة 2001-1422ه.

★تعليمه:

تلقى تعليمه الأول في كتاب "السيدة زينب" و بعد انتقال الأسرة إلى حي الخليفة التحق سنة 1912 بمدرسة والدة عباس باشا الأول الابتدائية بحي الصليبية بالقاهرة حيث المدرسة تتبع نفس الوقف الذي كان يتبعه "سبيل ولد عباس" القائم حتى اليوم بحي "الصليبية" و هي مدرسة مجانية للفقراء و العامة و هي نفسها التي تعلم فيها مصطفى كامل باشا, قضى فيها يحي حقي غاية من التعاسة مدة خمس سنوات خاصة بعد رسوبه في السنة الأولى اثر ما لقي من مدرسيه من رهبة و فزع, لكنه استطاع بعد صدمة التخلف عن أقرانه- أن يقهر إحساسه بالخوف و أن يجتهد محاولا استرضاء والدته التي تكد و تكدح جاهدة للوصول بهم إلى سر السلامة, و في عام 1917 حصل على الشهادة الابتدائية, فالتحق بالمدرسة السيوفية ثم المدرسة الإلهامية الثانوية, و قد مكث بها سنتين حتى نال شهادة الكفاءة, و في عام 1920 التحق بالمدرسة "السعيدية", و كان يسكن حينئذ مع أسرته في شارع محمد علي عاما واحدا انتقل به إلى المدرسة الخديوية و منها حصل على شهادة البكالوريا فنال رتبة الأربعين من بين الخمسين الأوائل على مجموع المتقدمين في القطر كله, فقد التحق في أكتوبر 1921 بمدرسة الحقوق السلطانية العليا في جامعة فؤاد الأول و كانت وقتئذ لا تقبل سوى المتفوقين و تدقق في اختيارهم و قد رافقه فيها أقران و زملاء مثل توفيق الحكيم و حلمي بهجت عدوي و الدكتور عبد الحليم الرفاعي و قد حصل منها على درجة اللسانس في الحقوق عام 1925 و جاء ترتيبه الرابع عشر و في الأخير ما يمكن قوله عن تعليمه نهاية المطاف عند يحي حقي كانت تنتهي بالتعلم المعتمد و بشهادات رسمية ليبدأ مراحل جديدة من التثقيف العلمي و المعرفي الذاتيين.[1]

---

[1] صفحات من تاريخ مصر -يحي حقي-.

★عمله:

عمل يحيى حقي بعد تخرجه من كلية الحقوق عام 1925 .عمل محاميا ثم معاونا للإدارة بصعيد مصر الذي قضى فيه عامين قبل أن يلتحق بسلك الدبلوماسي وفي عام : 1965 اختير مديرا لمصلحة القانون (النواة الأولى لوزارة الثقافة فيما بعد) فكان له دور مؤسس في النهضة الثقافية التي عرفتها مصر في تلك السنوات وما بعدها.وفي عام 1962 تولى يحي حقي رئاسة تحرير مجلة "المجلة" الشهيرة لثمانية سنوات نجح خلالها في تحويل تلك الدورية إلى منبر ثقافي مؤثر، قديم من خلال الكثير من المواهب الجديدة في ميادين القصة القصيرة والرواية والشعر والنقد.

ومن خلال دراسته للقانون، كتب يحيى حقي القصة القصيرة متأثرا بالأدب الروسي.

نال جائزة الدولة التقديرية عام 1927 وجائزة القصة عام 1928 .[1]

وصدرت مجموعته القصصية "قنديل أم هاشم " كاول كتاب ليحيى حقي عام 1944 فقد نشر في الصحف والمجلات منذ أواسط العشرينيات وخاصة في صحيفة الفجر.

إلى جوار القصة والرواية، أسهم يحيى حقي في كتابة المقال الأدبي والنقد الأدبية والفنية والدراسات الأدبية والسيرة الذاتية.وله ثمانية وعشرون كتابا، غير القصص والمسرحيات والكتب التي ترجموها.

[1] معجم الروائيين العرب-الدكتور-سمير روحي الفيصل- الطبعة الأولى 1990-1415 ص.ب-طرابلس-لبنان-جروس-برس-

★ آثاره:

يبلغ فن التصوير القصصي دقته و موضوعيته عند الكاتب يحي حقي,اتصل بأصحاب المدرسة الحديثة متأخرا, و لم يقف عن الكتابة في القصة القصيرة إلا عندما سافر و اتصل بالحياة الأوروبية اتصالا مباشرا, حين استقر به المقام في روما عام 1954 , و منذ ذلك الوقت اتجه إلى الميدان الروائي, فكتب (البوسطجي) في حوالي ست و خمسين صفيحة ثم اخرج بعدها قنديل أم هاشم[1].

كان الكاتب كغيره من الكتاب الذين بدءوا حياتهم بالكتابة في القصة القصيرة قد وجد حدوده فيها كفن, و لم يستطع أن يصل إلى الرواية في مثل السن الذي بدا الكتابة فيه. و يدلنا هذا على انه اقبل على فن القصة القصيرة عن إدراك لطواعية هذا الفن بالنسبة لشاب يريد أن يعبر عن ملاحظاته و مشاهداته في الحياة من حوله, فلم يكن إسهامه لمجرد الإسهام أو ليكون له من بين أعضاء المدرسة الحديثة نصيب, حتى يرجع إليه و إليهم الفضل في تثبيت قواعد هذا الفن في أدبنا الحديث....و لا يعني هذا بطبيعة الحال انه احتفل بأصول الفن و أشكاله و مضامينه, فانه من دراستنا لقصصه, لا يعطي للشكل أو المضمون عناية تذكر قدر عنايته بالتعبير اللغوي, و كيفية قلبه إلى تعبير فني محكم عميق..يثور منذ البداية على الأساليب الزخرفية و يتحمس لاصطناع أسلوب علمي موضوعي يبحث فيه عن العبارة و الكلمة و التركيب حتى يساعده مساعدة ايجابية على تصوير الواقع تصويرا دقيقا منضبطا[2].

و لقد عملت مؤثرات ثلاثة في تكوينه الأدبي حددت اتجاهاته من ناحية نحو اتخاذ الصورة شكلا قصصيا مرغوبا فيه, و من ناحية أخرى في الاهتمام باللفظ و الأسلوب المحدد و من ناحية ثالثة في التزام الواقع و ضرورة وصفه كما هو في الحقيقة.

من أهم أعماله[3]:

- قنديل أم هاشم: قصة 1944.
- صح النوم: رواية 1955.
- ماء و طين: رواية 1955.
- أم العواجز: قصص.
- خطوات في النقد: دراسة.

---

[1] تطور فن القصة القصيرة في مصر من سنة 1910 إلى سنة 1933 سد حامد النساخ- دار الكاتب العربي للطباعة و النشر بالقاهرة سنة 1388ه-1928.

[2] نفس المصدر السابق

[3] معجم الروائيين العرب- سمير روحي الفيصل- 1990-1415ه ص.ب -طرابلس-لبنان ص495.

- كناسة الدخان:دراسة 1991.

- خليها على الله: يوميات 1959.

- عنتر و جولييت: قصص 1970.

- الطائر الأزرق- ميتركيك: مسرحية-ترجمة.

- دكتور كنوك-جول رومان-مسرحية-ترجمة.

و غيرها مما قدمه الكاتب يحي حقي.

- السلحفاة تطير: قصة خيالية: نشرت لأول مرة في جريدة السياسة الأسبوعية 1939.

- كنا ثلاثة أيتام نشرت في مجلة الثقافة العدد 492 سنة 1942-ص12.

- بيني و بينك سنة 1940.

★وفاته:

في ضحى يوم الأربعاء التاسع من ديسمبر عام 1992 م توفي يحي حقي في القاهرة عن عمر يناهز سبعة و ثمانين عاما بعد رحلة و معاناة مع المرض و لكنه كان دائما ثابت الجنان بالأدب بعد أن أعقب تراثا كبيرا من الفكر و الأدب إبداعا و نقدا[1].

[1] من مقدمة كتاب يحي حقي بين السينما و الأدب...سينمائيات يحي حقي تأليف علاء الدين رمضان.

المبحث الثاني:

ملخص الروايـــة:

تعتبر رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم و التي صدرت عام 1938م رواية في المثاقفة مهداة إلى مقام السيدة زينب كدليل على التمسك بالأصول و التقاليد. أما رواية "قنديل أم هاشم" ليحي حقي الصادرة سنة 1944م، فقد تجاوزت محسن(عصفور...) في بواكير روايات المثاقفة و الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، و الواقع أن هذه القصص و الروايات الحضارية ليست روايات سيرة فردية فحسب وإنما هي روايات سيرة مجتمع يحاول النهوض بأبنائه فيقف الكثيرون في وجه هذا النهوض.

و إسماعيل شاب من أسرة ريفية عاشت في القاهرة، حصل على الشهادة الثانوية و سافر إلى أوروبا لدراسة الطب، و هناك اكتشف حياة جديدة تختلف اختلافا كبيرا عن بيئته السابقة وهو يعتبر من أبطال الروايات الحضارية الذين وقعوا بين شقين و صدموا بدنو مجتمعهم و تخلفه أمام ثقافة الغرب العلمية و مستوى معارفه العالية و هذا ما شكل لديه شعورا بالنقص اتجاه الغرب، و ولد فيه نظرة جديدة للطبيعة، فراح يتذوق جمالها و يتمتع بغروب الشمس وكأن هذه الأشياء لا توجد في موطنه الأصلي الذي هو بالعكس من يحوي مناظر أشد روعة و جمالا من التي يجدها في الغرب من شمس دافئة و رمال ذهبية تتميز بها البيئة العربية عن نظيرتها الغربية، فهو لم يحس بهذا إلا و هو بعيد عن وطنه، و كانت "ماري" زميلته في الدراسة رمز الحياة الحضارية الجديدة هي التي فتحت له آفاقا في الفن، الموسيقى والروح الإنسانية عامة. و علمته معنى الحرية و التمتع بالحياة و أنسته في أصوله و معتقداته و أفرغت عقله من الأفكار الشرقية و استبدلتها بثقافة الغرب المادية.

بعد سبع سنوات، يعود إسماعيل إلى مصر مزهوا بما امتلكه من ثورة علمية و ثقافة حضارية، و ينظر إلى مواطني بيئته على أنهم في نهاية السلم وهو في أعلاه بعلمه وثقافته.

و من هنا تبدأ إشكالية: "الناس يختلفون عما رآهم في أوروبا وليسوا كما يريدهم، فأمه متعلقة بالعادات والتقاليد القديمة خاصة بزيت "قنديل أم هاشم" الذي هو دليل على الجهل و التخلف في رأيه وفاطمة ابنة عمه و خطيبته المفروضة عليه توشك على فقد بصرها، ولا دواء غير زيت القنديل الذي عكفت الأم على مداوتها به، فيغضب لهذه المهانة و يعلن عن رغبته في تغيير هذا العالم الخطأ و لكن بجهد فردي فيذهب إلى مسجد السيدة زينب، و يحطم القنديل الذي زيته دواء المرضى فتهجم عليه الجموع و تدوسه بالأقدام.

و يقع إسماعيل طريح الفراش أياما و يلوم نفسه لأنه عاد إلى وطنه المتخلف و رفض عرض منصب أستاذ مساعد في الجامعة الإنجليزية التي تخرج منها، و اختلجه إحساس بالندم على تركه أوروبا و عودته إلى هذا الوطن المنكوب وما فائدة نضاله في بلد متخلف و أناسه يعيشون ذل الجهل والتخلف.

و ما زاد أزمة اسماعيل هو عودته لمداواة فاطمة بعلمه الذي اكتسبه من أوروبا ولكنه يفشل في ذلك مما زاد عينيها تدهورا أدى بها إلى العمى فاكتشف أنه لم ينقذ خطيبته عندما استبدل الإيمان بالعلم.

وقد أردا الكاتب أن ينتهي ببطله إلى المصالحة بين العلم و الإيمان، و الغرب والشرق، الحاضر والماضي، ليبين لنا في الاخير كيف يرتد البطل كلية العلوم في الغرب وحضارته فيدخل ميدان السيدة ليرى القنديل يشع بالنور فيناجيه "أين أنت أيها النور الذي غبت عنا دهرا، مرحبا بك... لا علم بلا إيمان" ليأخذ في الأخير زجاجة من زيت القنديل و يداوي بها عيني فاطمة فتشفى بها بلا علم، و يتجوزها إسماعيل و تنجب له خمسة صبيان و ستة بنات،، لتنتهي القصة ومعها إشكاليته التي تؤول إلى المصالحة مع واقعه، فيرضخ للمجتمع والخرافة و يصبح ضخم الجثة، أكرش ، اكولا، نهما، كثير الضحك والمزاح و المرح، ملابسه مهملة و يعيش من أجل مبادئه و أفكاره و كأنه لم يسافر إلى الغرب ولم يثقف في أوروبا ليصبح طبيبا، ولم يثر على السيدة أبدا. و هكذا يعود إسماعيل إلى الثقافة الأصلية، وبيئته التي تنكر لها سنوات عديدة.

المبحث الثالث:

1- صـــورة الأم "الست عدليـــة":

أ- الصـــــورة الاجتماعيـــــة:

يقدم لنا الكاتب في رواية "قنديل أم هاشم" " الست عدلية" وهي أم اسماعيل، تعيش في بيئة مصرية بالقاهرة في حارة "الميضة" قرب جامع السيدة زينب وهي كبقية الفئات الشعبية عاشت في ركاب الست وفي حماها، فأعياد هذه الأخيرة أعيادها و المواسم مواسمها، متمسكة بالعادات و التقاليد و خاصة بزيت قنديل أم هاشم، وهذا ما يتجلى لنا فيما قامت به عند نجاح ابنها إسماعيل بالأولية" حين أطلقت الست بخورها، و قامت بوفاء نذرها لأم هاشم"[1]. و لأن إيمان الأم كبير بقنديل أم هاشم وبركاته، وهي عادة قد ألفتها فهي لم تقدر أن ترى عيني فاطمة في تدهور دائم دون أن تفعل شيئا لا سيما و أن تلك المنطقة لا يوجد بها طبيب عيون، وإن وجد فيها فإنهم لا يؤمنون بعلاجه بقدر إيمانهم ببركة القنديل و زيته و مقدرته على شفائهم، فثقافتهم العلمية كانت محدودة فقط في العادات والأعراف.

"فالست عدلية" ورثت هذا عن أسلافها، وكانت ترى فيه الدواء الشافي لذلك الرمد، فكانت تدعوها كل ليلة ف " ترقد فاطمة على الارض و تضع رأسها على ركبة الأم فتسكب من الزجاجة في عينيها تتأوه منه فاطمة و تتألم"[2]. عسى تشفى من مرضها، لكنها لم تتقبل وتقتنع أن ما تقوم به و تعتقده هو خرافات و أوهام كما قال لها ابنها "إسماعيل" الذي صرخ في وجهها، بالإقلاع عن هذا الأسلوب الجاهلي البدائي" فصمتت هي وانعقد لسانها تحاول أن تتمتم ولا تبين"[3] لكنها لم تستطع الصبر أكثر اتجاه هذا التصرف الطائش.

---

[1] يحي حقي "قنديل أم هاشم" دار المعارف بمصر (سلسة اقرأ) 18 ديسمبر سنة 1954 ص10.
[2] المصدر نفسه ص 39و 40.
[3] المصدر نفسه ص 41.

و أحست أنه على خطأ فيما يقوله و "نطقت وهي تستعيذ بالله و تقول له : اسم الله عليك يا إسماعيل يا ابني، ربنا يكملك بعقلك هذا غير الدوا و الأجزا، هذا ليس إلا من بركة أم هاشم"[1]. و حاولت بردها هذا الدفاع عن نفسها وعما تفعله بزيت القنديل وأفهمته بأن هذا الأخير بركة للجميع وشفاء لكل داء، وهذا دليل على إيمانها الكبير بقنديل أم هاشم و وفائها لعادات أسلافها.

كما أردفت إليه تقول : "يا ابني ده ناس كثير بيتباركوا بزيت قنديل أم العواجز، جربوه شفاهم عليه و ربنا، إحنا طول عمرنا جاعلين تكالنا على الله و على أم هاشم، ده سر هاباتع"[2] لإقناعه أكثر بفائدة زيت القنديل عله يعدل عن فكرته الخاطئة.

و تبرز لنا الرواية، أن الأم بقيت متمسكة بفكرتها حتى عندما أراد إسماعيل أخذ القنديل منها بقوة شديدة" فتشبثت بها لحظة ثم تركتها له فأخذها من يدها بشدة وعنف"[3].

لأن هذا يعد في اعتقاد الأم واجبا لا يمكن التخلي عنه، و إيمانها صادق نابع من القلب وذلك بالمحافظة على تقاليد و عادات المجتمع المصري في حارة "الميضة"، و الوفاء بالنذر هي "سمة في الفئات الشعبية التي ترى القنديل مطهرا لها من أردان الواقع الموبوء، ولعل الذين يقصدونه بحثا عن زيته الشافي للعيون يعتقدون في الخلاص من الأمراض المحدقة بهم حتى إذا ما تحقق الشفاء كان الاعتراف الأصدق بالجميل"[4] .

---

[1] المصدر السابق ص 41.
[2] المصدر نفسه ص 41.
[3] المصدر نفسه ص 42.
[4] صدوق نور الدين- صورة الغرب في الرواية العربية "قنديل أم هاشم" نموذجا، دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة01 -سنة 1995 ص 63.

فصورتها جاءت عبارة عن امرأة بسيطة تنتمي إلى الطبقات السفلى للمجتمع المصري، غير متعلمة بل أمية لا تعرف القراءة و لا الكتابة، كما أنها تعتقد اعتقادا راسخا في الخرافات و الأوهام التي كانت منتشرة بكثرة في بيئتها البسيطة بين صفوف الطبقات الاجتماعية الدنيا، وهذا الاعتقاد ببركة أم هاشم ترسخ في ذهنها عن طريق التوارث، فأصبح يمثل لها عادة" بل واجبا" لا يمكن إهماله . وهذا حال الفئات الشعبية الفقيرة والجاهلة في حارة الميضة.

ب- الصـــورة النفسية:

الست عدلية ذات نظرة موحدة اتجاه قنديل أم هاشم و شخصية ذات تكافؤ منطقي حسب البيئة التي تعيش فيها من خلال تصرفاتها التي توحي لنا بحبها للعمل و للناس جميعا" وهذا من سمات سكان " حارة الميضة" و يتجلى ذلك عندما وفت بنذرها لأم هاشم".

و كما صورها الكاتب وهي في حالة فرح و سعادة عند نجاح ابنها، صورها لنا و هي في حالة حزن و خوف عندما فرض عليها فراق ابنها لدراسة الطب في الخارج، فهي أم ككل أمهات المنطقة العربية تخاف على ابنها من الهجرة إلى أوروبا و ذلك من خلال النظرة المأخوذة عليها. فهي تتصور الغرب في نهاية سلم عال ينتهي إلى أرض تغطيها الثلوج، و يسكنها قوم لهم حيل الجن و ألاعيبهم، عكس المنزل الذي يعيش فيه و الذي لا تنقطع في تلاوة القرآن، لكنها فهمت أخيرا أنه "لا مهرب من الفراق و رضيت صامتة، وإن لم ينقطع بكاؤها"[1] و بقي القلق مراودا لها، فهي خائفة أن يعود ابنها من أوروبا ويحمل معه أفكارا جديدة، دخيلة على المجتمع العربي ولا تمد إليه بأية صلة و يحاول تطبيقها على مجتمعه وعاداته.

لكنها تستسلم في الأخير لرغبة ابنها كبقية أفراد الأسرة، و تحاول جاهدة توفير تذاكر السفر و الملابس الثقيلة لتقيه برد أوروبا ببيعها حليها من أجل عيش كريم له، و لتطمئن عليه أكثر، فهي تشعر به كأنها جربت الغرب و أجواءه الباردة.

[1] يحي حقي – قنديل أم هاشم ص 37.

و قد جاءت صورتها في الرواية بعد أن كبرت في السن و شاخت و تهدلت و ضعف صوتها وبصرها و هي في حالة فرح بعد عودة ابنها "إسماعيل" من الخارج "فكاد أن يغمى عليها، وانعقد لسانها، وهي تضمه و تقبل وجهه و يديه و تشهق و تبكي"[1] فهي لم تراه طوال سبع سنين مدة غربته، و فرحها كان شديد الواقع عليها، ففلذة كبدها عاد إليها، وعودته أعادت الروح لامه التي انتظرته بفارغ الصبر لتضمه و يعيش من جديد في كنف أسرته الحقيقة.

فكانت صورتها النفسية، هي صورة امرأة مليئة بالحب متعاطفة مع جيرانها و الآخرين، حريصة على توفير أدنى الخدمات لابنها من أجل سعادته و كانت تحمل صورة سلبية عن الغرب ونسائه و أفكاره دون أن تتعرف على ذلك في الميدان حقيقة.

[1] المصدر نفسه ص 37.

2- صـورة فاطمـــة النبويـــة

أ- الصـــورة الاجتماعيـــة:

فاطمة هي بنت عم إسماعيل، يتيمة الأب والأم، قدمها لنا الكاتب في الرواية في صورة الفتاة المطيعة و المحافظة و التي ترى نفسها أقل شأنا من ابن عمها فهي "تعلمت كيف تكف عن ثرثرتها و تسكن أمامه في جلستها صامتة كأنها أمة و هو سيدها"[1].

ونظرتها إليه كانت نظرة إجلال و تكبير فهو في القمة بعلمه و ثقافته و هي في الأسفل بجهلها و أميتها " وكلما كبر في نظرها انكمشت أمامه و تضاءلت، قد يعلق بصره بظفيراتها فيتريث و يبتسم"[2].

و قد كانت دائمة الملازمة لابن عمها لا تفارقه " وتعودت أن تسهر معه ليلا، كأن الدرس درسها، تتطلع إليه بعينيها المريضتين ألمحمرتي الأجفان، و أصابعها تعمل في حركة متصلة لا تنقطع في بعض أشغال التريكو"[3] فهي رغم مرضها، كانت تسهر الليل بجانب إسماعيل، فهو يدرس وهي تلهي نفسها بأشغال الخياطة حتى تنتهي مذاكرته، و المهم بالنسبة لها هي أن تبقى بجانبه تؤنسه رغم أنه لم يكن يأبه لها ولسهرها معه.

كما نلمس في الرواية بأن الكاتب يقدم لنا فاطمة أو المرأة في المجتمع الشرقي على أنها شيء فارغ لا قيمة له، و هذا في نظر الرجل، فتعامل فاطمة من ابن عمها لا تحكمه أية شروط بل هي نابعة من البيئة و الثقافة الشرقيتين اللتان تصوران الرجل على أنه السيد الذي يأمر و ينهي ويطاع، و المرأة على أنها ملك له تطيعه في كل أوامره.

لقد جاءت صورت فاطمة، صورة فتاة بسيطة صامتة راضية على حياتها بالرغم من قساوة ظروف العائلة فهي "فتاة في شرخ الصبا ضفيرتها و أساورها الزجاجية الرخيصة وحركاتها، وكل ما فيها وما عليها يصرح بأنها قروية من أعماق الريف"[4] فهي تمثل بحق الفتاة الريفية بالزي التقليدي المصري، وبالأساور المنتشرة في حارة "الميضة".

---

[1] المصدر السابق ص 07.
[2] المصدر نفسه ص 08.
[3] المصدر نفسه ص 08.
[4] المصدر نفسه ص 38.

كما أنها فتاة رمداء العينين فهي " ترفع لتستطيع أن ترى وجهه، و لم يدعها الرمد منذ سافر و ساء حالها يوما بعد يوم".[1] و ما زادهما تدهورا علاجها بزيت القنديل على طريقة أم إسماعيل فقد كانت تدعوها كل ليلة لتقطر لها في عينيها الموشكتين على التلف ورغم حرقة ذلك الزيت الذي كانت تتألم وتتأوه منه، إلا أنها اعتادت عليه أمله أن يجلب الشفاء لكن دون جدوى، و كان الشيء نفسه كذلك مع علاج إسماعيل لها : "وسارت من السيء إلى الأسوأ وفشل إسماعيل في علاجها وهي التي انتظرت قدومه زمنا طويلا لكي يحقق لها بعض التقدم في البصر والبصيرة "[2] لأنه لم يكن يعالجها لمرضها بل يحاول عن طريقها أن يثبت للجميع فضل ما لقنته إياه أوروبا من علم حديث، يعالجها لا حبا فيها، ولكن تأكيدا لذاته و إبرازا لتفوقه، و تكون النتيجة أن تتفاقم حالة فاطمة،" لأن المريض لا يؤمن بالطبيب ولأن الطبيب يدوس بأقدام الاحتقار الغليظة إنسانية المريض".[3]

لقد صورت الرواية فاطمة على أنها امرأة بسيطة ساذجة من الطبقة الدنيا لا تعرف القراءة و الكتابة، فهي تمثل بامتياز صورة المرأة الشرقية التي لا تعرف شيئا، وإنما تطيع الرجل في كل شيء بل وتبجله، و في الأخير تكون سعيدة بالزواج (سعيدة بزواجها من إسماعيل الذي طالما حلمت به) و تنتهي بإنجاب الكثير من الأطفال، فهي صورة بائسة للمرأة الشرقية، حرفتها الوحيدة هو الإنجاب و خدمة الرجل، هكذا جاءت صورتها تدعو للشفقة و الرثاء حقا.

---

[1] المصدر نفسه ص 39.
[2] عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ص 405.
[3] علي الراعي- " دراسات في الرواية المصرية" الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979 مصر ص 159.

ب- الصـــورة النفسيـــة:

قدم لنا الكاتب فاطمة و هي في حالة خوف على ابن عمها عندما قرر الدراسة في الخارج و صورها لنا بقوله، " أما فاطمة النبوية فقلبها واجف تسمع أن نساء أوروبا يسرن شبه عاريات كلهن بارعات في الفتنة و الإغراء"[1] دليل على صعوبة تقبلها للأمر الواقع و عدم موافقتها على رحيل إسماعيل لأن الأوروبيات ستخطفه منها بفتنتهن و براعتهن، فهي تعلم بأن البيئة المصرية ليست كالأوروبية، و خيالها يحمل كل ما هو سلبي تجاه الغرب في قرارة نفسها خائفة ولا تريده أن يضيع منها.

كما جاءت صورتها النفسية أيضا مختلطة و مبهمة، فهي حيرى بين الأس والفرح عندما قرأ عمها فاتحتها على يد اسماعيل، فبقدر فرحها بأن يكون من نصيبها، هي خائفة من المجهول و هو الغرب الذي لا ترى فيه سوء فتنة و إغراء نساءه.

كذلك نجد أن نفسية فاطمة كانت شبه محطمة مستسلمة لمرضها يختلجها إحباط نفسي دائم وهو " الحالة النفسية التي توجد فيها الفرد و لديه دافع أو دوافع مستثارة ولا يستطيع إشباعها وهي حالة يخبر فيها الشخص مشاعر الضيق و الاستياء والخنق"[2].

فزيت القنديل لم يأت بتقدم يذكر لعينها بل زادهما سوءا، و كذلك الشيء نفسه مع علاج إسماعيل لها فهي لم يكن لديها أمل تتشبث به و لم تكن مهمته بمرضها بقدر ما كان يهمها أن تكون موضع عناية ورفقة.

فعدم إيمانها و وثوقها بالعلم الذي اكتسبه إسماعيل في اوروبا جعلها يائسة من شفاءها.

"وقد لاحظ بأن فاطمة لم تستجب لعلاجه لأنها لم تؤمن به فأتاها بشيء تؤومن به وهو زيت القنديل"[3].

فصورتها النفسية، هي صورة امرأة ضعيفة، صامتة، مطيعة و تافهة داخل مجتمع أبوي شرقي، أين الرجل هو كل شيء و المرأة لا شيء، فعلاقتها بالرجل(ابن عمها) فهي علاقة ضعيف بقوي.

---

[1] يحي حقي-" قنديل أم هاشم" ص 20.
[2] فرج عبد القادر طه- موسوعة علم النفس و التحليل ص 32.
[3] علي الراعي- دراسات في الرواية المصرية ص 159.

3 صـــورة نعيمـــة:

أ- الصـــورة الاجتماعيـــة

نعيمة فتاة سمراء جعدة الشعر، رقيقة الشفتين، طويلة القامة، صامتة ذات قوائم أهيف، كما تبرزها لنا الرواية وهي الفتاة الراغبة في التوبة و المتميزة عن البقية تعيش في حارة "الميضة".

وهي كبقية الفئات الشعبية البسيطة متمسكة بالعادات و التقاليد تختلف عن زميلاتها في مشيتها" كأنها تسير إلى الارض مالكة كيانها وروحها ذراعاها ممدودتان إلى جانبها يواجهك باطن كوعها"[1] فهي عكس البقية اللواتي يمشين مشية المتخاذل المنحل، فرغبتها في التوبة أرشدتها إلى الطريق الصحيح فكانت دائمة الزيارة لمقام السيدة زينب للوفاء بالنذر و الدعاء و طلب التوبة، تضع شفتيها على سور المقام "ليست هذه القبلة من تجارتها بل من قلبها"[2].

ولأنها دائمة الزيارة للمقام فقد كان إسماعيل يراقبها على الدوام لتميزها و معرفة سبب زيارتها المتكررة للسيدة و كشف سرها لكنه لم يستطع أما هي ف " لم تره ولم تشعر به أبدا"[3] فاللامبالاة التي تعيشها، حجبت عنها كل أمور الدنيا، لتبقى فكرة التوبة هي الأولى، فمداومتها على زيارة المقام حتى بعد (سبع سنوات) لم تجعلها تستسلم. و قد اختلفت كليا حتى أن إسماعيل لم يعرفها إلا بعد أن انعكست في ذهنه الفتاة ذات الشعر الأجعد و قد زال انطباق شفتيها وبدت لها سنان" و إن تكلمت فصف من أسنان بيض كاللؤلؤة تكفي النظرة غليها ان تنسى وجود كل قبيح"[4].

وهذا دليل على جمالها، فهي بالرغم من مرور السنين لا زالت توفي بنذرها ولم تيأس أبدا " لقد صبرت و أمنت ، فتاب الله عليها وجاءت توفي بنذرها بعد سبع سنوات ، لم تقنط ولم تثر ولم تفقد الامل في كرم الله "[5].

---

[1] يحي حقي قنديل أم هاشم ص 15.
[2] المصدر نفسه ص 24.
[3] المصدر نفسه ص 24.
[4] المصدر نفسه ص 54.
[5] المصدر نفسه ص 54و 55.

إنها عكس إسماعيل الذي على الرغم من ثقافته العلمية فقد ثار وتكبر وكان مآله السقوط.
لقد أعطت له درسا في الأخلاق و التربية معا، فحضور نعيمة في الرواية، وعلى ضآلته هو رمز الصبر وطلب التوبة و دليل على المحافظة على العادات والتقاليد و الرجوع إليهما.

ب- الصـــــورة النفسية:

"صورة الجسم هي الأساس في خلق الهوية"[1] فصورة نعيمة في رواية "قنديل أم هاشم" حسب هذا التعريف منن علم النفس توحي لنا بأنها إنسانة تحاول الهروب من واقعها لتلتجئ صوب التوبة وهذه "التوبة هي شكل من أشكال التعزيز الموجب للسلوك الذي يهدف الباحث إلى تغييره أو تثبيته بمجموعة من الحوافز"[2]. وهذا ما كانت تفعله نعيمة التي سعت جاهدة للحصول على تلك التوبة باعتبارها أنها تحقق إشباعا، فهو أسلوب يقوم بتقويم و تعديل السلوك نحو الاحسن.

كما تظهر لنا من خلال الرواية و كأنها تؤنب نفسها على الأفعال المضادة للمثل والقيم و الأخلاقيات و الشرائع السائدة في تلك البيئة فألزمت نفسها الخروج من ذلك الواقع و الدخول إلى عالم جديد. لعلها لم تكن مخطئة في أعمالها لدرجة طلب توبة مبالغ فيه" فهناك الكثير من الأفراد الذي يدركون أنفسهم على صورة بعيدة عما هي عليه في الواقع"[3].

فبالرغم من صغر دور نعيمة في الرواية إلا أنه يبدو كبيرا برمزيتها ، فهي اعترفت بخطئها وحاولت إصلاحه بالتوبة عكس إسماعيل الذي تنكر لذاته ومجتمعه وعاداته وكل ما يربطه بماضيه، فرغبتها الجامحة في أن يتوب الله عليها وكذلك "السيدة أم هاشم" لم تضنها وتتعبها على مر الزمن. فصورتها في الرواية جاءت كإنسانة أخطأت و تحاول إصلاح ما أفسدته بطريقة حكيمة وبصبر كبير، ذا دلالات واسعة.

---

[1] فرج عبد القادر طه- موسوعة علم النفس و التحليل النفسي عن حسين عبد القادر ص 471.
[2] المصدر نفسه عن شاكر قنديل ص 29.
[3] المصدر نفسه ص66.

4- صـــورة مـــاري الإنجليزية:

أ- الصـــورة الاجتماعيـــة:

يقدم لنا الكاتب "ماري" في الرواية رمزا للغرب، و أسلوبها في الحياة جزء من الكل، والكل هنا هو حياة الغرب و نظرته اتجاه الشرق فـ" هي أوروبا الحديثة الفخورة بعلمها المادي، دون إيمان أو اكتراث كبير بالإنسان".[1]

و ماري هي زميلة إسماعيل في دراسة الطب بالجامعة الإنجليزية و كبقية الأوروبيين، ماري تناشد الحرية و تستهويها المادة و تبحث فقط عن اللذة، و مبادئها في الحياة تقوم على أساس الاستمتاع بها بدون قيود.

و قد استغلت هذه الفتاة الإنجليزية قدوم الفتى الشرقي الأسمر إلى أوروبا بكل معاناته الاجتماعية و الفكرية و مراهقته و بؤسه الروحي لتجعله ينقاد بكل سهولة وراء أفكارها الفاشية التي هي من مبادئها "فقد قال لها يوما، سأستريح عندما أضع لحياتي برنامجا أسير عليه.

فضحكت و أجابت:

- يا عزيزي إسماعيل، الحياة ليست برنامجا ثابتا، بل مجادلة متجددة.

- يقول لها : " تعالي نجلس" فتقول له : "قم نسر" يكلمها عن الزواج فتكلمه عن الحب، يحدثها عن المستقبل، فتحدثه عن حاضر اللحظة.[2]

و لأن حياتها تقوم على أساس الاستمتاع و اللذة، فهي جذبت إسماعيل لها من أول وهلة، فصورتها الجسيمة كان لها انعكاس واضح على إسماعيل الذي استسلم لها، فآثرته و احتضنته عندما وهبته نفسها، كانت التي فضت براءته العذراء.

---

[1] على الراعي: دراسات في الرواية المصرية ص 162.

[2] يحي حقي- قنديل أم هاشم ص 30.

أخرجته من الوهم و الخمول إلى النشاط و الوثوق، فتحت له آفاقا يجهلها من الجمال: في الفن، في الموسيقى، في الطبيعة بل في الروح الإنسانية أيضا[1].

ورغم حيويتها ودعوتها للقيم الحضارية الغربية لم تستطع ماري أن تثير في إسماعيل "وعيه بمكانه في وطنه و مكان وطنه منه"[2] بل أفقدته واقعه بقولها: "النفس البشرية لا تجد قوتها و من ثم سعادتها إلا إذا انفصلت عن الجموع و واجهتها أما الاندماج فضعف ونقمة[3].

فهي ترى في الفردية حرية كاملة لها، ولما ستفعله دون قيود و لأن نمطها المعيشي كان غير نمط إسماعيل في البيئة الشرقية فقد حاولت أن تبين له أن بيئتها هي الأفضل، وأن الحرية رمز الغرب و الانغلاق و القيود رمز الشرق، و بذلك بمعولها الذي كان يتألم منه: " كانت روحه تتأوه و تتلوى تحت ضربات معولها، كان يشعر بكلامها كالسكين يقطع من روابط حية يتغذى منها، و استيقظ في يوم فإذا روحه خراب لم يبق فيها حجز على حجر"[4].

والحياة بالنسبة لماري، فرصة لا يجب تضييعها، و اليوم الذي يمر لا يعود، وهي غير مستقرة فكما كانت لإسماعيل لأيام، استطاعت أن تكون و بكل سهولة لرجل آخر من جنسها، فالتحول عندها شيء بسيط، يقوم على أساس النمط العقلي.

وقد حققت ماري ما طمحت إليه، وغيرت نظرة إسماعيل اتجاه مجتمعه الشرقي بمنظار أدنى منه من كل النواحي، وذا عادات وتقاليد كلها خرافات و أوهام لتجعل مكان كلها مادة غريبة ساذجة.

وبذلك جاءت صورتها تمثل فتيات أوروبا اللواتي ينتمين إلى طبقة العمال، و اللواتي يؤمن بالعقل دون تدخل للشعور و العاطفة و الأخلاق، فهي امرأة مستهترة لا تقيم للأخلاق وزنا ولا أية قيمة اجتماعية أخرى.

---

[1] المصدر نفسه ص 29.
[2] عبد السلام الشاذلي- شخصية المثقف في الرواية العربية ص 409.
[3] يحي حقي- قنديل أم هاشم ص 32.
[4] المصدر نفسه ص 32.

سنينا طوال لتزرع فيه بذرة التفكير الغربي المختلف تماما عن طبيعته الأصلية، و لأن نمط عيش إسماعيل يختلف عن نمط عيش ماري في الحياة الأوروبية فقد انهزم أمامها وكانت نتيجته أن "يتكسر النمط المعيشي الأول الذي كان يؤمن به إيمانا مطلقا، و هكذا خرج الإيمان منهزما[1].

ولم تتوقف ماري عند هذا الحد، فالرواية تبرز لنا أنها جردته من كل ما كان يحمله من معتقدات وأفكار فهي" حاولت تشويه عقل إسماعيل ونسف منطقه العلمي كإنسان مثقف و حاولت أيضا تخريب روحه وضميره"[2].

واستمرت على هذا الأسلوب لتصل إلى قيمه الأخلاقية وداستها، فحينما رأته يطيل جلسته بجانب الضعفاء ويعطف عليهم و يستمع إلى شكواهم، أقدمت و أيقظته بعنف: "أنت لست المسيح بن مريم من طلب أخلاق الملائكة غلبته أخلاق البهائم، و الإحسان أن تبدأ بنفسك، هؤلاء الناس غرقي يبحثون عن يد تمد إليهم، فإذا وجدوها أغرقوها معهم، إن هذه العواطف الشرقية مرذولة مكروهة، لأنها غير عملية و غير منتجة و هذه العواطف قوتها في الكتمان لا في البوح[3]. فماري كما يبينها لنا الكاتب ذات قلب قاس بدون ضمير تسير في الحياة بعقلها لا بقلبها، قالت له: "إن العطف ضعف و الحب قيد والحياة مجادلة" إنها تحاول بكل الطرق أن تبين له عاطفة الشفقة التي يملكها اتجاه أي إنسان بائس في هذه الحياة، و تفكيره البدائي بمواضيع الحب و أمله في الزواج كلها أمور يجب أن يتجاوزها، فالحياة بالنسبة لها تكمن فقط في الاستمتاع و اللهو فيها فهي "وهبته نفسها و قامت و كأنما قد وهبته كتابا يقرأه، أخذت تقطع بسكاكين كلامها كل رابطة حية تغذى عليها، إلى ذلك الوقت، واستيقظ ذات يوم فإذا بروحه خراب "[4].

---

[1] يحي حقي – قنديل أم هاشم ص 30.
[2] شريف موسى عبد القادر- أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية ص 25.
[3] عبد السلام الشاذلي – شخصية المثقف ص 404.
[4] علي الراعي- دراسات في الرواية المصرية ص 156.

فقد هدمت كل شيء فيه فقد كانت بمثابة " المجبر الذي عالج التواء في العظام، إنه بجذبة شديدة ترفع صرخة الألم إلى شفتي المريض بعيد العظمة النافرة إلى مكانها الصحيح وشفي المعالج"[1].
فقد صنعت منه رجلا آخر دون أن يحس بذلك، صنعته كما تريد و تهوى، نزعت منه ماضيه، أخلاقه و كل ما كان يحمله كفتى شرقي، دون أن يتألم هو لذلك.
ولكن بقدر سلبيات ماري و تفكيرها الفاشي المسيطر على إسماعيل وشخصيته، كان لها بعض الجوانب الإيجابية عليه حيث جعلته إنسانا آخر ذا فردية مستقلة و " جعلته يحس بكيانه المتميز، وبتفرده و باستقلاله عن الآخرين، و زرعت في نفسه الميل إلى المنطق و الاستمساك به، فأصبح لا يؤمن إلا بالعلم و العقل"[2] فهي لم تشوه عقل إسماعيل، ولم تنسف منطقه العلمي، لكنها و بأسلوبها الذي اتبعته مهدت جليا في بروز شخصية جديدة بثقافة أوروبية تختلف عن الأولى كل الاختلاف فهي بدأت من الأساس لتشيد بناء آخر بعدما حطمت الأول و دكته و داست على كل قيمه " واستطاعت وهي رمز الحضارة الغربية الجديدة أن تهدم الخرافة في نفسه و تعوضها بالعلم"[3].
و بالرغم من هذا، فماري ذات شخصية إيجابية في مواقفها وإن كانت سطحية تجاه إسماعيل، لقد دعمته و جعلته إنسانا مثقفا له قيمة خاصة، وتراث حضاري مستقل، وجاءت صورتها تعبر عن صورة الغربي عامة تجاه الشرقي وهي صورة و إن كان ظاهرها يحمل الحضارة والعلم، الأوروبي المتفوق المسيطر تجاه الشرقي الدوني المسيطر عليه.
فهي صورة التفوق العلمي و المادي الذي تمثله "ماري" على الخرافات و القيم والأخلاق التي يمثلها إسماعيل.

---

[1] شريف بموسى عبد القادر: أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية (مقاربة نفسية) عن سبعون شمعة من حياة حقي ص 28.
[2] المرجع السابق – ص 28.
[3] محمد عزام – البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة- دار الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع (ط1) ص 23.

المبحث الرابع: مقارنة بين صورة المرأة في روايتي عصفور من الشرق و قنديل أم هاشم

تتحدث رواية عصفور من الشرق عن المرأة في العالم الغرب بكل ما يحمله هذا الجانب من فكر وأخلاق وقصور حياتي بينما تحاكي رواية قنديل أم هاشم المرأة الشرقية العربية بكل عاداتها وموروثاتها وتقاليدها.

لهذا فالروايتين نموذجين مختلفين عن المرأة لا يمكن المقارنة بينهما من حيث رؤية الكاتب للمرأة في مجتمع معين لكن يمكن إظهار صورة المرأة من خلال الروايتين في حضارتين مختلفتين الأولى غربية والثانية إسلامية شرقية

صورة الأم:يصور لنا الحكيم الأم في المجتمع الغربي في شخصية "أم اندريه"والتي تتميز بحفاظها على نشاطها وحيويتها ومساعدتها لابنها على مشاقة الحياة من جهة وناصحة له بوجوب تربية أبنائه تربية حسنة ووجوب إعطاء وقت للأبناء حتى يستطيع هؤلاء الإحساس بمعنى الأبوة والأمومة مستقبلا.فهي واعية بالمسؤولية الملغاة على كأملها فهي تربي حفيدها وتحاول توعية ابنها وزوجة ابنها وزوجة ابنها بان إلهامها لابنها له عواقب وخيمة في المستقبل.

إذن فصورة المرأة عند الحكيم هي صورة نمطية عن كل الأمهات سواء في العالم الغربي والشرقي

أما بالنسبة ليحي حقي فهو يصور لنا الأم في البيئة العربية ببساطتها وسذاجتها فهو يراها امرأة أمية لا تحسن الكتابة ولا القراءة تؤمن بالخرافات التي توارثتها عن أجدادها حتى وان كانت تلك الخرافات تضر أكثر مما تنفع وحكمتها تبقى متمسكة بها نظرا لقيمتها النفسية والأسطورية فهي تحاول الحفاظ على العادات والتقاليد في مجتمعها عن غير علم ولا دراية. ولكن من جهة أخرى فهو يصورها امرأة حنونة تخاف على أبنائها وخاصة عند غيابهم أو سفرهم وهذه صورة نمطية عن كل الأمهات وفي تصوير حقي لصورة الأم في العالم الشرقي يحاول توضيح ذلك التناقض بين الخوف على أولادها وإيذائهم ،بمعنى آخر فالأم التي تكون جاهلة ربما قد تضر أبناءها من حيث تريد مساعدتهم إذن فرواية توفيق الحكيم تصور الأم في المجتمع الغربي بينما يصورها يحي حقّي في المجتمع العربي

صورة الأنثى:"سوزان ديبون" عند الحكيم :

يصور الحكيم الأنثى أو بمعنى آخر المرأة باعتبارها الوجه الثاني للرجل في أوربا على أنها مادية براغماتية تجعل من الحب مساويا للمادة "فسوزي ديبون" لا تعرف المعنى الحقيقي للحب بل

تعرف المعنى الجسدي المعترف بالمادة،في حين لا تولي اهتماما بالحب الروحي الذي هو أساس المعاشرة الزوجية بين المرأة والرجل فبائعة التذاكر وعلى الرّغم من علمها بأن محسن يحبها إلا أنها لم تبادله نفس المشاعر.بل قدمت نفسها وجسدها لمن يدفع لها إنها العولمة المحطمة لكل الأخلاق النبيلة.

كما يصور يحي حقي "فاطمة"وصفها المرأة المحبّة في الوطن العربي بأنها تعطي كلّ شيء سوى مبادلة إحساسها وشعورها.المرأة في هذا الجانب تعطي من دون مقابل فالمرأة المحبة في العالم العربي، تبقى تابعة لمن تحب ولا تستطيع إبداء الرفض نظرا لخصوصية الرجل والمرأة في الوطن العربي بمعنى أنها سلبية حتى في مشاعرها ولكن من جهة أخرى فان حبها طاهر ونقي ولا يدنسه وسخ المادة الفانية . في
هذا الإطار يمكن القول أن معنى الحب في الغرب يختلف عنه في الشرق عند طبقة لا يستهان بها من عامة الناس.

يتفق كل من يحي حقي وتوفيق الحكيم على أن المرأة الغربية باعتبارها أنثى قد غرقت وراء الماديات ولا يهمّها سوى منفعتها الخاصة على حساب القيم الإنسانية والمشاعر ولعلّ أهم ما يبيّن هذا هو "ماري الانجليزية" في رواية قنديل أمّ هاشم و"سوزي ديبون"في رواية عصفور من الشرق فماري الانجليزية تنشد بالحرية الفردي وتصد كل من يقف في وجه حريتها بالرجعي والانطوائي وحتى إن كانت الحرية الفردية وتضف تؤدي إلى الهلاك والفساد الأخلاقي وهذه هي أهم السلبيات العولمة الديمقراطية الغربية الزائفة .

وكذلك الأمر عند "سوزي ديبون"في رواية عصفور من الشرق فهي لا تعترف إلا بالفائدة المادية وقد قدمت جسدها لمديرها في العمل ليس لأنها تحبه ولكن لتضمن لقمة عيشها والحق يقال أنه لا خير في رزق كان سببه الفرج .

ولكن هذه المقولة ليس لها حظ من التأمل في عالم غربي مادي لا يؤمن سوى بالمادة جاعلا الحرية الفردية الزائفة وسيلة لبلوغ المراد المادي .

وبهذا كانت النظرة الشرقية في الروايتين:المحافظة على العادات والتقاليد حيث كان توفيق الحكيم يعتبر السيدة زينب رباط يتمسك به مقدس دوما ويشعر بديانته وأصله وثقافته تزرع فيه الروح الإسلامية فجوّ السيدة زينب في كامل الرواية في ذاكرة البطل بهذا كان يوحي تجسيد امرأة من الشرق وجودها هو والأمل الذي يعيد بعث الروح فيه:هي الطاهرة المنقذة له كلما احتاج إليها فهي كانت ترمز إلى الثقافة واعتبرها مرافقته الدائمة.

من الروايتين نستخلص صورة المرأة في المرأة الأم و المرأة الأنثى بصفة عامة.

تشابهت في بعض النقاط و اختلفت في نقاط أخرى.

	الحالة النفسية	الحالة الاجتماعية
المرأة الأم	الحالة النفسية عند الأم الشرقية هي نفسها عند الأم الغربية فالأم بطبيعتها حساسة و تريد النجاح لأولادها في الحياة و تحقق لهم رغبتهم فيها إلا أنها بطبعها قد تختلف من صورة الأم الجاهلة المعتمدة على ما سبق من حياة أجدادها إلى حياة الأم المتعلمة التي تبحث دائما عن ما جد في الحياة.	تعتبر الأم الشرقية أمية بسيطة ساذجة جاهلة.تحاول في معظم الأحيان المحافظة على العادات و التقاليد و يعتبرها حقي تضر أولادها من حيث تريد مساعدتهم. أما بالنسبة للام الغربية تتميز بحفاظها على نشاطها و حيويتها و مساعدتها لابنها على مشاق الحياة على تهيئته على مستقبل أمامه إضافة إلى تربية أبنائه و توجيههم.
المرأة الأنثى بصفة عامة	المرأة الشرقية محبة بكل أحاسيسها و جوارحها على عكس المرأة الغربية الحب لديها يتغير و يختلف حسب اختلاف المادة.	المرأة الغربية مادية لا يهمها شيء سوى مبتغاها و هي ذات معنى جسدي مقترن بالمادة و لديها الحب يساوي المادة. آما المرأة العربية تهتم بالحب الروحي الذي تعتبره أساس المعاشرة بين الرجل و المرأة.متمسكة بالعادات و التقاليد و ما ورثته من أجدادها. و المرأة الغربية تجعل الحرية الفردية الزائفة وسيلة لبلوغ المراد المادي.

خاتمة

الخاتمة

إن هذه الخاتمة ليست صياغة نهائية لهذا البحث وإنما هي محاولة متواضعة حاولنا فيها استجلاء الدور الفعال للمرأة في هذا الصراع.

والحقيقة أن الروائيين قد حققا سبقا جوهريا في الكشف عن ثنائية هذا الصراع بين الشرق والغرب من خلال إيجابيات كل طرف وسلبياته.

تأخذ صورة المرأة في نظرة توفيق الحكيم ويحي حقي حيزها الطبيعي في بيئة كل طرف وهي عندهما: إنسان شامل بكل جوانبه، وعاكسة للصورة للثقافة الشرقية والغربية.

وقد أراد الكاتبان من خلال عملهما الروائبن تصوير أهم القضايا المطروحة في الواقع ومواقفهما منها مثل: الزواج ،الانتماء والجنس، الحب، وعمل المرأة في البيت وخارجه والتواصل بين الأجيال، والحياة المدنية والريفية.

ظلت صورة الغرب حاضرة في هاتين الروايتين وقد حاول كلا الكاتبين إبراز ثقافة كل بيئة على حدة ، وقد وظفا المرأة في عملهما باعتبارها رمزا إيحائيا لتلك البيئة وتمثيلا لها ولثقافتها.

جسدت البيئة الأوروبية دورها "سوزي" عند توفيق الحكيم و "ماري" عند يحي حقي وكلتاهما تعبر عن الثقافة الغربية والعالم الأوروبي، أراد بهما الكاتبان توضيح سلبيات الغرب، من خلال تعامل المرأة مع البطلين محسن (عصفور...) وإسماعيل (قنديل...).

جعل الكاتب في رواية عصفور من الشرق دور المرأة الشرقية مجسدا في الروح الطاهرة للسيدة زينب، أما الغرب فمثلته " سوزي " بعجرفتها وأنانيتها، والمجتمع الأوروبي جسد دوره عائلة الغرب أكثر منه في الشرق، وبين لنا كيف أن الشرق هو الأفضل على حساب الغرب بعيوبه التي جسدتها صورة " سوزي" ليصل بنا إلي نتيجة حتمية ونهائية، إلى أن جمال الشرق يكمن في بساطته ونبل أفراده ومثله، أما يحي حقي فقد اتخذ من " فاطمة " نقطة تقاطع بين الثقافتين الغربية والشرقية فكان شفاؤها انتصار للشرق، حيث بعثت الروح الشرقية من جديد في شخصية البطل إسماعيل.

و تعد صورة الست عديلة المتمسكة بعادات أسلافها ، ونعيمة الصابرة والمواظبة على زيارتها لمقام السيدة ، جزءا من بيئة الشرق والفئات الشعبية فيه، أما شخصية " ماري " فكانت تمثل أوروبا بمادياتها وسيطرتها وعجرفتها وقسوتها كذلك.

طغى جمال البيئة الأوروبية على فكر الكاتبين معا في البداية، لكن سرعان ما تلاشى هذا الغشاء االمزيف عن عينيهما. حقاً يوجد العلم والثقافة والحضارة هناك، لكن الأنانية والسخرية والمادة هي الأساليب التي يتعامل بها الغربيون مع الشرق الدوني المتخلف والخيالي في نظرهم، وهذا ما دفع بالكاتبين إلى إثبات عكس هذا التصور الظالم للشرق، بالانتقادات التي وجهت للغرب من خلال " سوزي وماري" وفي الوقت نفسه انتقدا الشرق، لكنهما بقيا منحازين إليه كلما تذكرا مقام السيدة زينب، هاته الأخيرة التي كان لها حضور رمزي إيحائي للبيئة الشرقية، كدليل على الروح الشرقية المميزة، وما تمثله بالنسبة لأي مصري، فهي الطريق المنير بشعاع ، أساسه الإيمان الصادق وهذا ما حول تصويره توفيق الحكيم باقتدار من خلال الشخصية النسائية كأم أندريه وجرمين، وسوزي اللواتي تبدو عليهن سمة عدم الرضا على الواقع المعاش،وتطبعهم صفة التشاؤم والطموح إلى الأعلى دائما.

ومثله في هذا، يحي حقي الذي جعل من الست عديلة وفاطمة النبوية ونعيمة تصويرا للبيئة الشرقية، ومجتمعها الصامت الراضي بحياته البسيطة والمؤمن الصابر المحافظ على القيم والعادات. فالصور المستخلصة للمرأة اجتماعيا ونفسيا، هي نوع أو جزء من الكل، فالمرأة الشرقية تمثل جزءا غير يسير من الشرق بعاداته وطريقة تفكيره، بينما المرأة الغربية هي سفيرة لبيئتها ومجتمعها،فهذان النصان اللذان هما بين أيدينا هما شقان مختلفان حسب الصورة المحللة إلا أنهما يبقيان فصلان متشابهان في نوعية الهدف الذي يرميان إليه كونهما روايتان تتحدثان عن صراع الشرق مع الغرب.

وفي الأخير نرجو أن يكون بحثنا هذا قد أثار بعض التساؤلات المهمة في قضية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب الذي لا يزال قائما لحد الآن، نرجو من الله التوفيق.

قائمة المصادر و المراجع

❖ المصادر:

✓ القرآن الكريم.برواية ورش

✓ -الروايتان:

1- يحي حقي: قنديل أم هاشم: دار المعارف بمصر(سلسلة اقرأ) 18 ديسمبر سنة 1954.

2- توفيق الحكيم:عصفور من الشرق: دار المعارف، القاهرة مصر، طبعة 1974.

3-الراعي علي: دراسات في الرواية المصرية(ب.ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1979 مصر.

4-معجم الروائيين العرب: د-سمير روحي الفيصل.الطبعة الأولى 1415ه-1990. طرابلس-لبنان

5-تطوير فن القصة القصيرة في مصر من سنة 1910 إلي سنة 1933 - سد حامد النساخ - دار الكتاب العرب للطباعة و النشر بالقاهرة سنة 1388ه – 1928

6-من مقدمة يحي حقي بين السينما و الأدب :

سينمائيات يحي حقي تأليف علاء الدين رمضان

7-صفحات من تاريخ مصر – يحي حقي

8-قراءة في أدب توفيق الحكيم : رجاء عيد: منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حري وشركاه سنة 2000

9-فؤاد دوارة في النقد المسرحي.

10.في الجهود المسرحية العربية(من ماروت النقاش إلي توفيق الحكيم)-د-عبد الرحمان الرفاعي

11-مذكرات محمد لطفي جمعة – الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصرية الجزء 4

❖ المراجع:

1-(الشاذلي) عبد السلام: شخصية المثقفة في الرواية العربية الحديثة الطبعة الأولي –دار الحداثة للطباعة و النشر- لبنان بيروت – 1985

2-صندوق نور الدين : صورة الغرب في الرواية العربية قنديل أم هاشم نموذجا (ط1) دار الثقافة الدار البيضاء سمة 1995
3- (الظرابشي) جورج : لعبة الحلم والواقع دراسة في أدب توفيق الحكيم (ط2) دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت سنة 1979
4- (الظرابشي) جورج : شرق وغرب رجولة وأنوثة (ط2) دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت- لبنان شباط (فبراير) سنة 1979
5- عزام محمد: البطل الاشتراكي في الرواية العربية المعاصرة (ط2) دار الأهلي للطباعة و النشر و التوزيع.
6-فرح عبد القادر طه موسوعة علم النفس و التحليل النفس (ط2) دار غريب للإدارة و المطابع -القاهر- مصر: سنة 2003
7-(المعوش) سالم: صورة الغرب في الرواية العربية (ط1) مؤسسة الرحاب الحديث للطباعة و النشر بيروت سنة 1998

❖ المجلات و الدوريات:

1- مجلة البيان ل محمد مبارك الصوري في الذكري الأول لوفاة توفيق الحكيم العدد: 270 سبتمبر 1988
2- جريدة الشرق الأوسط : 10 مايو 2005 العدد 9660
3- مجلة الأدب و العلوم الإنسانية – العدد6- سنة 1428-2007- كلية الأدب و العلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس – الجزائر .

❖ الأطروحات:

-شريف بن موسي عبد القادر: أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية (مقارنة نفسية) دكتورات قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة سيدي بلعباس السنة الجامعة 2004

❖ مواقع الأنترنيت :

1-موقع إيلاف ثقافات المسرح الذهني عن توفيق الحكيم
2-توفيق الحكيم : ملامح رائد من موقع : سلام أون لاين.

فهرس

قائمة المصادر و المراجع

- فهرس –

- **مقدمة:**.....أ-ب-
- **مدخل.**
- **الفصل الأول:** صورة المرأة في رواية عصفور من الشرق.....ص1
- **المبحث الأول:**
- تعريف توفيق الحكيم.....ص12
- **المبحث الثاني:**
- ملخص عام للرواية.....ص16
- **المبحث الثالث:**

1- صورة السيدة زينب.....ص18
2- صورة العجوز أم اندريه.....ص21
3- صورة حرمين.....ص25
4- صورة سوزي ديبون.....ص28

- **الفصل الثاني** :- صورة المرأة في رواية قنديل أم هاشم:.....ص38
- **المبحث الأول:**

تعريف يحي حقي.....ص39

- **المبحث الثاني:**

ملخص عام للرواية.....ص44

- **المبحث الثالث:**

1- صورة الأم "الست عديلة".....ص46
2- صورة فاطمة النبوية.....ص50
3- صورة نعيمة.....ص53
4- صورة ماري الانجليزية.....ص55

- **المبحث الرابع:**

- مقارنة بين صورة المرأة في الرواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم و قنديل ام هاشم ليحي حقي.....ص56

- **خاتمة:**..... ص62

- **مصادر و مراجع:**.....ص65